المفارقة فى فلسفة القديس أوغسطين
(دراسة تحليلية نقدية)

نانسى أمير توفيق مرقص
باحثة دكتوراه في الفلسفة القديمة وفلسفة العصور الوسطى

مقدمة :

تظهر المفارقة بوضوح فى تناول وطرح القديس أوغسطين .Augustinus Saint (٣٤٥ – ٤٣٠م)، لمشكلة وجود الشر (The Problem Of Evil)، وهى من أبرز المسائل التي شغلت أوغسطين، ولذلك كانت محوراً في أهم كتابين له: "الاعترافات"Confessions ، و"مدينة الله" The City Of God، حيث يقول إن التاريخ البشري كله صراع بين مدينة الله أورشليم ، ومدينة الشر بابل، المدينة الأرضية، ويخلص إلى أن الشر موجود، ولكن ليس ككيان إيجابي قائم بذاته، بل إنه انتفاء وعدم للخير.

ويُعزى هذا النفي إلى إرادة الإنسان الحرة. وهذا التفسير للشر اللاكياني ، يعود إلى أفلاطون أولاً ، ومن ثم تعزز لدى الرواقيين. الذين قالوا إن الخير فى الأساس يتجسد في الانسجام مع القانون الطبيعي، والاستسلام لكل شيء، ذلك لأنه قدر محتوم ولا مفر منه. وقد أثارت لديه تساؤلات عدة بهدف الوصول إلى حل لها. ولعل من أهم تلك الأسئلة التى تجيب عنها كتاباته المختلفة : ما المقصود بالخير والشر؟ ما دوافع ارتكاب الإنسان للشر وفعل الخير؟ وما طبيعة هذه الدوافع، وما مصدرها ؟

ونجد أن الإجابة التقليدية المسيحية لمشكلة الشر صيغت لأول مرة على يد أوغسطينوس، والخطوط الأساسية لهذه الإجابة قد اتبعت من قبل عدد كبير من المفكرين المسيحيين اللاحقين عليه. ويمكن القول أيضآ إن محاولته لحل التناقض بين وجود الشر ووجود الله هى أول محاولة موسعة وجدية ومنظمة فى مجال الفكر الدينى.إن كل ما هو موجود ، حسب أوغسطين ، هو خير ، لأن كل ما خلق الله هو حسن ، كما جاء فى الكتاب المقدس. فإذا كانت جميع الأشياء التى خلقها الله خيرة ، فإن ما نعده شراً ليس جوهرآ ، لأنه لو كان جوهراً لكان خيراً ، فإن ما نعده شراً ليس جوهراً ، لأنه لو كان جوهراً لكان خيراً، فهو في حقيقته عدم الخير ، ومن ثمة فهو لا وجود. وهذا يعني أن الوجود والخير متساويان.

وبالتالى ، لا يمكن القول إن الله هو سبب شىء غير موجود، أو سبب غياب الخير ، إن أوغسطينوس، بهذا الأسلوب ، يحاول أن يبرئ الله من تهمة أن يكون موجد الشر فى العالم، فالخيرية ، إذن ، صفة جوهرية لله ، فهي ليست شيئا يصادف أن يملكها الله ، بل هي شيء يملكها الله بالضرورة. وإذا كان نظام الكون يعكس حكمة الله ورحمته، فما الذي يفسر وجود الشر على نطاق واسع جداً ، سواء كانت شروراً طبيعية أو خلقية ؟ ولماذا لا يوقف الله الشر بما أنه كلي القدرة والصلاح ؟ ومن هنا نشأت مشكلة الشر. ومن بين الحلول العديدة المقترحة لحلها ، هناك من حاول إيجاد مصالحة بين قدرة الله وصلاحه وبين وجود الشر بجميع أنواعه.

إشكالية البحث :

تكمن إشكالية البحث فى التساؤل الآتى :

فى أى المواضع نعثر على مفهوم المفارقة فى فلسفة القديس أوغسطين، هل فى تناوله لمفهوم الشر – حيث يوجد تعارض بين هذا المفهوم ومفهوم العناية الإلهية ؟ وما رد أوغسطين على من يعترض من الوثنيين فى عصره الذين كانوا يتساءلون كيف أن الله موجود والشر أيضاً موجود وذلك على الرغم من كماله وخيريته وكرمه ؟

تساؤلات البحث :

من أهم فرضيات البحث أو تساؤلاته :

١- ما الشر ، وما طبيعته ، وما أصله، وبعض مصدره عند القديس أوغسطين ؟
٢- ما سبب وجود الشر فى العالم بالرغم من أن الله خير وكامل ولا يصدر عنه إلا كل ما هو كامل وخير ؟
٣- كيف يخلق الله الشر أو (عدم الكمال) على الرغم من كماله ، وخيريته ، وعلمه ، وقدرته ، ومسئوليته التامة عن كل ما خلق ؟
٤- هل يوجد ثمة تعارض بين وجود الشر فى العالم ، وبين العناية الإلهية ؟
٥- ما العلاقة بين مفهوم الشر وكل من : حرية الإرادة البشرية ، والقانون الطبيعى ؟

منهج الدراسة :

استخدمت فى هذه الدراسة المنهج التحليلى والمنهج النقدى حيث إنهما يستقيمان مع موضوع الدراسة.

تمهيد:

مشكلة الشر(The Problem Of Evil) : في الثيولوجيا وفلسفة الدين هي محاولة حل معضلة وجود الشر والمعاناة في العالم مع فكرة وجود إله ذي قدرة ومعرفة وخير مطلق. وهي حجة ترمي إلى إظهار أن وجود الشر مع مثل هذا الإله أمر غير محتمل أو مستحيل، بينما تدعى المحاولات لإثبات العكس ثيوديسيا.

فالمفارقة هنا أنه رغم أن مشكلة الشر تمثل أكبر اعتراض على وجودِ الله، ففي نهاية الأمر نجد أن الله هو الحل الوحيد لمشكلة الشر. لأنه إن لم يكنِ الله موجودًا، فنحن ضائعون ولا أمل لنا في حياة مليئة بألم اعتباطي لا فداء منه على الإطلاق. إن الله هو الحل النهائي لمشكلة الشر، لأنه يفدينا من الشر، ويأخذنا إلى خير بلا حدود من الفرح الأبدي.

تدخل مشكلة الشر تحت مبحث " الثيوديسيا Theodicy" وهي كلمة يونانية تتكون من مقطعين (ثيوس) وتعني إله، و(دلي) تعني عدل، وتعني : (عدل الله). وظهرت كلمة (الثيوديسا) لأول مرة لدى الفيلسوف (ليبنتز) في كتابه :

(Essais De Theodicie Sur La Bonte De Dieu , La Liber De L'homme Et La L'origine Du Mal).في العام ١٧١٠م ويهدف إلى بيان أن الشر الموجود في العالم لا يمنع من الإقرار بوجود الله.

ثمَّة ردود وحجج مختلفةٌ ومتنوِّعة لحلّ مشكلة الشر. منها على سبيل المثال تفسير عمليَّتي الخلق والحساب اللتين يقوم بهما الله في التوراة على أنَّهما عمليَّة واحدة، ففي هذه الحالة، يكون اللَّه قد جسَّد كرهه للشرّ في العالم الذي خلقه، فهو يريد إقامة حسابٍ عظيمٍ وكاملٍ للبشر على كافَّة أخطائهم وإعلانها عليهم جميعاً في يوم الحساب .ولأنَّ الله سيعاقِب مرتكبي الأعمال الشِّريرة في يوم الحساب، فإنَّ هذا يجعله إلهاً خيِّراً. ثمَّة العديد من التفسيرات الأخرى للمشكلة، منها أنَّ الشر هو نتاج إساءة استخدام المخلوقات الحيَّة للإرادة الحرَّة التي منحها إيَّاها الله، وأنَّ المعاناة ضروريَّة لتطوُّر الناس الروحاني، وأنَّ البشر أقلُّ إدراكاً أساساً من أن يفهموا أسباب الإله للسَّماح بوجود الشر. لكنَّ أحد هذه التفسيرات – وهو المتعلّق بإساءة استخدام الإرادة الحرَّة – قد يكون متعارضاً مع المفهوم الحالي عن الله، حيث يفتَرض أنَّ الإله قادرٌ على التنبؤ بكلِّ حوادث المستقبل، ممَّا يمكّنه من تجنُّب حدوث أيِّ شيءٍ لا يرغب في وقوعه، وهي حقيقةٌ يمكنها أن تنسف مفهوم حرية الإرادة أساساً.

ونلاحظ أن لأوغسطين فى طوره المسيحى اهتماماً وعناية إضافية بمسألة الشر ، وذلك لارتباطها بنظرية الخطيئة الأصلية (Original Sin) ، وبالتالى بعقيدة الفداء والخلاص (Rédemption)

والجدير بالذكر هنا أن أوغسطين لا يعد من فلاسفة العصر الوسيط ، ولكنه فيلسوف مهم من فلاسفة عصر الآباء. وكان له عظيم الأثر في الفلسفة المسيحية كافة. وكان شاب مرهف الحس، قوي العاطفة، كثير التأثر، يجمع بين الورع وبين نيل اللذت. فكان هو ذاته في صراع كبير بين قطبين متنافرين، انتهى هذا الصراع بقضائه على حبه اللذات. كما أن ثقافته متباينة أيضًا.

فأولًا: الثقافة المسيحية والتي تظهر بقوة في النصوص الدينية، وثانيًا : الثقافة اليونانية، وثالثًا : الثقافة المانوية الفارسية السورية. والتي اعتنقها القديس أوغسطين لفترة طويلة من حياته وشبابه، ورابعًا وأخيرًا : الثقافة اللاتينية والتي ظهرت في مزاجه الفردي ونظرته السياسية الثاقبة ، وقد حاول أوغسطين الجمع بين كل تلك الثقافات المختلفة المتباينة.(١)

إن الإجابة التقليدية المسيحية لمشكلة الشر صيغت لأول مرة على يد القديس أوغسطين (Saint Augustinus)(*) والخطوط الأساسية لهذه الإجابة قد اتبعت من قبل عدد كبير من المفكرين المسيحيين اللاحقين. ويمكن القول إن محاولته لحل التناقض بين وجود الشر ووجود الله هي أول محاولة موسعة وجدية ومنظمة في مجال الفكر الديني.

---

(١) - عبد الرحمن بدوي ، فلسفة العصور الوسطى، ط٣ ، وكالة المطبوعات ، الكويت، دار القلم، بيروت ، لبنان، ١٩٧٩، ص ص١٥/١٦.

(*) - **القديس أوغسطين : Saint Augustinus Of Hipoo**: (٣٥٤- ٤٣٠م) من أكبر آباء الكنيسة الكاثوليكية كما أنه من أهم فلاسفة القرن الرابع الميلادي. ولد في مدينة طاجست (Thagest) في شرق الجزائر والتي تعرف اليوم (بسوق الأخرس). في شمال أفريقية، وتعلم في مدرسة قرطاجنة. وهو كاتب وفيلسوف من أصل نوميدي- لاتيني يعد أحد أهم الشخصيات المؤثرة في المسيحية الغربية .تعدّه الكنيستان الكاثوليكية والأنغليكانية قديسا وأحد آباء الكنيسة البارزين وشفيع المسلك الرهباني الأوغسطيني. يعدّه العديد من البروتستانت، وخاصة الكالفنيون أحد المنابع اللاهوتية لتعاليم الإصلاح البروتستانتي حول النعمة والخلاص. وتعدّه بعض الكنائس الأورثوذكسية مثل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية قديسا. مؤلفاته - بما فيها الاعترافات، التي تعدّ أول سيرة ذاتية في الغرب - لا تزال مقروءة في شتى أنحاء العالم.

انظر :

- John H. Leith , From Generation To Generation : The Renewal Of The Church According To Its Own Theology And Practice , Westminster , John Knox Press , 1990 , P; 24- 27.

وأيضاً :

- Paulist Fathers , Catholic World , Volumes 175-176 , The University Of California Press , U.S.A. , 1952 , P; 376/ 377.

القديس أوغسطين ومشكلة الشر فى العالم :

شغلت مشكلة الشر (The Problem Of Evil) تفكير أوغسطين وسيطرت عليه تمامًا، وذلك لأنه خبر الشر وعلمه طوال حياته السابقة على اعتناقه للديانة المسيحية، فنجد أنه يتحدث كثيرًا في كتابه الاعترافات (The Confessions) عن فعله للآثام حتى في المراحل المبكرة من حياته، مما ضاعف من عذابه النفسي وشعوره بالذنب، فطلب الغفران والصفح من الله عن حياته التي لم تكن فاضلة من قبل على حسب تعبيره.

فكان كثيرًا ما يكذب أو يسرق خاصة في مرحلة المراهقة. لذلك كانت حياته المليئة بالخطايا جعلته يعتقد أن الخطيئة هي أهم شواغل الإنسان. فظلت مشكلة الشر هي المشكلة المحورية في ميتافيزيقا الدين، فبحث عن تفسيرها في كافة فلسفات عصره قبل أن يهتدي إل تفسيره الخاص لها :

١ – فنجده يتبنى في البداية فكرة أفلاطون – ثم الأفلاطونية المحدثة القائلة بأن الجسد والمادة هما المصدر الأساسي للشر في العالم. فذهب أفلوطين Plotinus متأثرًا في ذلك بأفلاطون Plato إلى أن المادة أدنى درجة في سلسلة الموجودات، لذلك فهي مضطربة ولا محددة ولا متعينة، لذلك كانت هي مصدر الشر في العالم.(١)

اهتم فلاسفة الأخلاق، بالإضافة إلى العديد من اللاهوتيين، بالبحث في مشكلة الشر على مر التاريخ الإنساني. فحاولوا جميعًا فهم الشر، وكان موضوعًا مغريًا بالنسبة لهم، فحاولوا تفسير الألم والمعاناة والمأساة في الحياة بطريقتهم وبفهمهم للموضوع، وطبقًا للأسئلة التي أرقت تفكيرهم كل على حدة. ومن أبرز هؤلاء الفلاسفة واللاهوتيين معًا نجد القديس أوغسطين الذى اهتم بالبحث في مشكلة أصل الشر وأنواعه، وتعارضه مع مفهوم العناية الإلهية من عدمه.(٢)

ولكن كيف خلق الله الشر في العالم إذا كان كائنًا قادرًا صالحًا كاملًا وخيريته الكاملة وقدرته ومقدرته غير المحدودة واللامتناهية؟ وتوصل أوغسطين من خلال تحليله ودراسته للمبادئ الفلسفية للأفلاطونية المحدثة، وذلك على ضوء وحي إيمانه المسيحي، إلى عدم كفاية آراء الأفلاطونية المحدثة، فتجاوزها. فقول أفلوطين إن المادة شريرة يؤدي بالضرورة إلى التشاؤم، ولكن أوغسطين حوَّله إلى تفاؤل ديني ميتافيزيقي.(٣)

---

(١) - إمام عبد الفتاح إمام ، مدخل إلى الميتافيزيقا مع ترجمته الكتب الثمانية الأولى من ميتافيزيقا أرسطو، ط٢، مكتبة النهضة، القاهرة ، ص ص١٢٥-١٢٧.

(2) - Charles T.Mathewes , Evil And The Augustinian Tradition, Cambridge University Press , U. K., 2001, P. 3.

(3)- Willaim Chase Greene , Moira Fate, Good And Evil In Greek Thought , Cambridge , Harvard University Press , U.K. 1944.

فاحتلت مشكلة الشر مكانًا كبيرًا في وعي القديس أوغسطين، وحاول حلها لدى المانويين، ثم أفلوطين وغيره من الفلاسفة، وذلك في محاولة مستميتة منه حتى يجعلها تتفق وتنسجم مع مذهبه العام، ونظرته التفاؤلية الطابع للعالم ككل. ونجد أن مفهوم النعمة في المسيحية مرتبط بوجود الآثام والشرور في العالم. ولكن من جهة أخرى إذا كان الله كاملًا ومسئولًا عن كل ما خلق، فكيف يخلق الله الشر، بمعنى عدم الكمال، وأيضًا كيف يتفق عدم الكمال في المصنوع مع الكمال في الصانع أو الخالق ؟ ونحن نعلم أن كل طبيعة تعد خيرة بحكم تعريفها، وأن الطبيعة السيئة هي التي تكون فيها الكمالات الثلاثة (اعتدال، صورة، نظام) فاسدة. كما أنها تكون سيئة فاسدة بمقدار درجة فساد هذه الكمالات الثلاثة والتي وهبها الله تعالى لكل جوهر سواء كان جوهرًا ماديًا أم روحانيًا على حد سواء.[١]

وظلت مشكلة الشر تؤرقه لفترات طويلة من شبابه فيقول في الاعترافات : " ما فتئت أبحث عن مصدر الشر، ولكنني لم أستطع أن أجد عن ذلك جوابًا ". كما أهتم بالبحث عن إجابة للتساؤل : (من أين جاء الشر ودخل إلى العالم ؟) ، (ومن أين جاء الشر إلى الخليقة إذا كان الخالق كلي الخير والكمال).[٢]

كان موضوع أومسألة الشر هو الشغل الشاغل للكنيسة منذ نشأتها الأولى، عند الآباء الأولين، وخاصة القديس أوغسطين، الذي رأى أن الشر ليس من عند الله، وأن مصدر الشر هو من عند الشيطان الذي يتراءى للإنسان ويغويه حتى ينغمس في بؤرة الفساد والشرور المختلفة المتنوعة، وذلك لإبعاده عن السير فى طريق الخير.

اهتم أوغسطين طوال المراحل المختلفة في حياته بمشكلة الشر. فالحديث عن الشر مختلف عن الحديث حول أي شيء آخر في الحياة. كما أن الشر ليس شيئًا أو غرضًا مستقلًا بصورة ما بذاته.[٣]

نلاحظ أيضاً أن هناك مجهودات عقلية وذهنية كبيرة من المؤمنين بوجود الله للإجابة عن الأسئلة الخاصة بمشكلة الشر وفهمها. فكانت هناك أطروحات متنوعة، وثرية، وقوية قدمتها عقول كبيرة، وعميقة، ومجتهدة، فنجد الفيلسوف والمنطقي الإنجليزي (برتراند راسل B. Russell) : يذهب إلى أن الشر ليس له أي وجود، وأنه مجرد وهم Illusion أو تصور ذهني لشيء غير قائم بالفعل. فيقول : "الشر هو العالم السفلي للأوهام التي يجب أن نحرر حواسنا منها".[٤]

---

(1) - إمام عبد الفتاح إمام ، مدخل إلى الميتافيزيقا، ص ص١٣٣/١٣٤.
(2) - المجلة العربية للعلوم الإنسانية، المجلد ١٥، العدد ٥٩، ١٩٩٧، ص٢٤٨.
(3) - Robert Dodaro And George Lawless , Augustine And His Critics , Routledge , U.S.A , 2005, P. 105.
(٤) - سامى العامرى ، مشكلة الشر ووجود الله الرد على أبرز شبهة من شبهات الملاحدة، ط٢، تكوين للدراسات والأبحاث، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٦م، ص٣٣.

ماهية الشر وطبيعته :

ما يطلق عليه الشر ليس شيئاً مستقلاً، أو كياناً قائماً بذاته، ولكن الشر هو غياب أو عدم للخير في رأي أوغسطين. لذلك فإن كل الطبيعة بما إنها طبيعة فهي تعتبر خيرة وصالحة.[١]

ينفى أوغسطين وجود الشر، وأنه ليس بشيء، وأنه غير موجود وغير متضمن في المنظومة العقدية أساسًا، فالشر نقص أو سلب للخير ليس إلا.[٢]

ونلاحظ أنه إذا لم تكن الكمالات فاسدة، فإن الطبيعة (أي الكائن) تكون عندها اعتدالًا وصورة ونظامًا، بمعنى أن الكائن يكون جيدًا، وخيرًا، وحسنًا. إذن نستخلص من العرض السابق أن الشر هو نقض الخير، وهو فساد إحدى خصائص الموجود، ويتفاوت بمقدار هذا الفساد. فالشر هنا هو خلل في خصائص الموجودات، أو في ترتيبها، أو في بعضها. كما يمكن القول إن الشر نقص في خير كان يجب أن يمتلكه الكائن أو الموجود. الشر إذن هنا بمعنى العدم المحض، أو الغياب، أو عدم الوجود. فالشر عند أوغسطين ليس كائنًا، أو موجودًا قائمًا، أو وجودًا في حد ذاته، كما يعتبره المانويون. بالإضافة إلى أنه ليس هناك صفات للشر، وذلك بسبب أن ما هو عدم وغير موجود لا يمكن أن يكون له صفات.[٣]

إن كل ما هو موجود ، فى نظر أوغسطين، هو خير ، لأن كل ما خلق الله هو حسن، كما جاء فى الكتاب المقدس. فإذا كانت جميع الأشياء التى خلقها الله خيرة ، فإن ما نعده شرا ليس جوهراً ، لأنه لو كان جوهراً لكان خيراً ، فهو في حقيقته عدم الخير ، ومن ثمة هو لا وجود.

وهذا يعنى أن الوجود و الخير متساوقان. وبناء على ذلك ، لا يمكن أن نقول إن الله هو سبب شيء غير موجود أو سبب غياب الخير ، إن أوغسطين بهذا الأسلوب ، يحاول أن يبرئ الله من تهمة أن يكون موجد الشر فى العالم ، فالخيرية ، إذن ، صفة جوهرية لله ، فهي ليست شيئا يصادف أن يملكه الله ، بل هي شيء يملكه الله بالضرورة. من أبرز المسائل التي شغلت اوغسطين هي مسألة الشر ، ولذلك كانت محوراً في كتابين له: "الاعترافات" و"مدينة الله" ، حيث يقول إن التاريخ البشري كله صراع بين مدينة الله أورشليم ومدينة الشر بابل .

---

(1)- Saint Augustine , On Instructing The Unlearned , Concerning Faith Of Things Not Seen , Or Concerning Faith, Hope , And Charity, Edited By : H. De Romestin, M.A., Parker And Co. U.K. London, 1885, P. 159.

(٢) - عادل ضاهر ، الفلسفة والمسألة الدينية، دار نسلن، بيروت ، لبنان، ٢٠٠٨م، ص٤٩٢.

(٣) - على زيعور ، أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية، ط١، دار إقرأ ، بيروت، لبنان ، ١٩٨٣م ، ص١٧٣.

ويخلص إلى أن الشر موجود ولكن ليس ككيان إيجابي قائم بذاته ، بل إنه انتفاء للخير. ويُعزى هذا النفي إلى إرادة الإنسان الحرة. وهذا التفسير للشر اللاكياني ، يعود إلى أفلاطون أولاً ، ومن ثم تعزز لدى الرواقيين. الذين قالوا إن الخير هو في الانسجام مع القانون الطبيعي والاستسلام لكل شيء، لأنه قدر محتوم.وبما أن الله خيِّر وبرئ من كل جسد، فقد أراد أن تتشبه به كل الأشياء بقدر الإمكان. كما يقول ويستشهد على كلامه بما ورد في سفر التكوين فى العهد القديم فيقول : " إن الله قد نظر إلى كل ما خلقه فرأى أن ذلك حسن، وقد خلق الله كل الأشياء بكلمته، ولم يخلقها إلا لأنها حسنة جدًا ". " ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جدًا". (سفر التكوين١: ٣١). وما دام الشر سلبًا، وعدمًا محضًا، فبالتالي فكل ما في الوجود يعتبر بمثابة مظهر من مظاهر خيرية الله دون أن يكون هناك أي نقص أو تصدع، أو انحلال في أي من أعمال الخلق الإلهي المبارك.

ويتحدث عن المشكلات الإنسانية الجوهرية في الحياة كالموت، والألم، والشر، ويجيب عن الأسئلة التي طرحها حول تلك الموضوعات من خلال الرجوع إلى تجاربه الخاصة ورحلته اللاهوتية والإيمانية ، والمراحل المختلفة التي مر بها خلال رحلة حياته. فيحلل في كتابه (الاعترافات) بطريقة فلسفية لاهوتية في الوقت عينه وبطريقة عميقة دوافعه الخاصة حتى يمكنه أن يدرك ويفهم رغباته وإرادته في مرحلة شبابه المبكرة من خلال قصة شجرة الكمثرى، فحدث أنه هو وبعض أصدقائه من المراهقين كانوا يسرقون الثمار، ويلقونها للخنازير. فكان يسرق دون أن يكون بحاجة للسرقة على الإطلاق.

فلم يكن هدفه مجرد السرقة، بل تجربة لذة السرقة، فكان الشر له جاذبية كبيرة لديه. ويتحدث عن شعوره العميق طوال فترة حياته بالعناية الإلهية، والرحمة الإلهية، وصبر الله على الخطاة حتى يرجعوا إلى صوابهم، ويعرفوا الحق، ويسيروا في طريق الخير والرحمة. فيرسم أوغسطين صورة جميلة (لله) تعالى الذي يعتني ويرعى كل الخليقة. فالله خلق كل شيء حسنًا وجميلاً للغاية، وذلك بسبب خيريته وصلاحه الكامل. ولكن بالرغم من كل ذلك فمن أين أتى الشر؟ هل تسلل الشر إلى داخل العالم ؟ أم هل نشأ الشر من الخليقة التي خلقها الله بصورة وبشكل ما ؟ وهل الشر شيء ما له كيان مستقل بذاته ؟ أم هل الشر عبارة عن لا شيء ؟[1]

ما الشر ؟ هل هو حقيقة ذاتية مستقلة، بمعنى أنه شر بذاته، أم أنه ليس له كيان مستقل بذاته ؟ شغل السؤال حول طبيعة الشر، وماهيته، ومفهومه الفلاسفة والمفكرون منذ

(1) - S. Morris Engle, Angelika Soldan , The Study Of Philosophy , , 6th Edition , Rowman, And Little field , U.S.A , 2007, P. 209.

قديم الزمان، ويتركز الجواب على نقطتين أو محورين : الأول : إن الشر عبارة عن حقيقة موضوعية، والثاني : إن الشر هو غياب للخير (Privation Of Good). فالشر في الواقع ليس مادة تحس، ولا ذاتًا تحبس، ولكنه عبارة عن أثر لفعل أو لحال ما. فلا يوجد شر مطلق، ولكنه أمر نسبي جزئي، ويمكننا أن نعتبر أن الشر بمثابة صفة (Adjective)، وليس ذاتًا في حد ذاته، ولا يعامل معاملة الاسم إلا إذا كان في صيغة التجريد.[1]

ونجده يصف الشر في الاعترافات (The Confessions) ويعرفه بأنه امتناع الخير، فلا توجد طبيعة مطلقًا يمكننا أن نصفها بالشر.

أنواع الشر لدى القديس أوغسطين:

ينقسم الشر إلى نوعين رئيسين:

١- **ما يفعله المرء** : الذي هو الخطيئة (Sin).

٢- **ما يقاسيه المرء** : والذي هو العقوبة (Punishment) على الخطيئة.

كما يرى أن عناية الله هي التى تتحكم وتتصرف في كل شيء. كما أن الشر ينتج عنه الحرمان والخطيئة بسبب قلة الإخلاص لله.

أولاً : الشر الخلقي : أو (الخطيئة) :

هو عبارة عن سوء استخدام الحرية والإرادة الإنسانية، وذلك بنبذ الخير الدائم، والإقبال والسعي خلف الخير الوقتي والرذائل، وبالتالي فإن الشر الخلقي هو عدم النظام في الإرادة. ويرى القديس أوغسطين خطأ كل من الفكر الأفلوطينى والمانوي القائل بأن النفس تخطئ بسبب الجسم والحواس، فذلك خطأ وإسراف ظاهر أيضًا، فنجد أن الجسم يثقل النفس بالفعل، ولكن على الرغم من ذلك، فإن الأدنى لا يمكن الأعلى، بدليل أن فساد الجسم وسوء تأثيره وأثره في النفس ليس هو السبب في حدوث الخطيئة الأولى، ولكنه نتيجتها المترتبة عليها، كما أنه العقاب على الخطيئة الأولى أيضًا.

فكيف إذن نفسر خطيئة الشيطان برغم أنه بلا جسم ؟ ولكنها خطيئة الكبرياء، والحسد، والاغتباط، والزهو بالذات، فلم يكن آدم وحواء ليخطئا أبدًا لو لم يبدأ، بالاغتباط والعجب بنفسيهما حين أغراهما ووسوس لهما الشيطان بأن يصيرا كإلهين من خلال الأكل من الشجرة المحرمة شجرة (معرفة الخير والشر).

---

(١) - سامي العامري ، مشكلة الشر ووجود الله ، ص ٩٦.

ونستنتج من ذلك أن الإرادة هي سبب وعلة الخطيئة، أو بمعنى آخر يمكننا القول إن الخطيئة هي عدم محبة الله في إرادتنا، وذلك بخلاف الخير الذي هو في حقيقته وجود كما أنه يتطلب علة ثبوتية، يوجهنا الله إليه، فالإرادة يمكنها تقبل هذا التوجيه أيضًا، فتفعل حينها الخير وذلك بالشراكة مع الله الذي هو مصدر لكل فعل، ولكن كيف أعطانا الله الحرية التي تخطئ ؟ ألن يكون الله في هذه الحالة هو المسئول عن الشرور ؟ ويجيب أوغسطين عن ذلك بأن الإرادة هي خير، وذلك من حيث هي القدرة على الاختيار، ولكنها تكون رديئة وشريرة حين تكون بخلاف ما يجب أن تكونه، ونلاحظ هنا أيضًا أن الشر لا يوجد خارج الخير، كما أنه يعد من الكمال أن نستطيع العمل باختيارنا، وأن نراعي بارادتنا الحرة النظام العام الذي وضعه الله تعالى، فتساهم بقدر ما في فعل الخالق : لذلك لم يحرمنا الله من حرية الإرادة.

ثانياً : الشر الطبيعي :

يكون في فساد كيان الماديات أو زواله، ومن المهم هنا أن نذكر أن الشر الطبيعي لا يعتبر شرًا بمعنى الكلمة، وذلك لأنه في فساد البعض كون البعض، ففي فساد العناصر كون المركبات منها، وفي فساد مركب كون العناصر التي يتكون منها، فالفساد هنا يدخل في النظام العام الذي ينتج من تنوع وترتيب الكائنات بعضها، بالإضافة إلى البعض الآخر.

وفي الواقع فإن الشر الطبيعي الذي يشعر به الإنسان في داخله وفي ذاته هو أثر للخطيئة وعقاب عليها في حقيقة الأمر. ذلك لأن الخطيئة تعد بمثابة عصيان وتمرد على النظام، وينتج عنها اضطراب وتشوش في الكيان الإنساني، وعلى الرغم من ذلك فإنه لا يخلو من الفائدة والمنفعة أيضًا : فيكمل خبرة الحكيم وحكمته، ويأخذ عليه أجرًا وثوابًا كبيرًا، وهو أيضًا طريق مهم نحو الحكمة لغير الحكيم، أما بالنسبة إلى الشرير فهو عقاب عادل لأفعاله وشروره التي اقترفها.

والجدير بالذكر هنا أن كل من الشر الخلقي، والشر الطبيعي لا يمكن نسبتهما إلى الله على الإطلاق، ولكن الله تعالى يسمح بحدوثهما كليهما، ذلك حتى يستخرج منهما الخير، فما دام الشر عدمًا، فإن البحث عن علته وسببه ليس بحثًا عن مصدر وجود، ولكنه بحث عن مبدأ نقص، ومبدأ النقص لا يوجد إلا في المخلوق فحسب.[١]

أما بالنسبة إلى الشر الميتافيزيقي فيعرفه أوغسطين بأنه عبارة عن نقص في درجة الكمال، ويكون في الذات أو في الجوهر أو العرض. كما يرى أن الشر التام أو المطلق يتمثل في عدم الكمال.[٢]

---

(١) - يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ص ص٤٥/٤٦.

(2) - G.R. Evans , Augustine On Evil , Cambridg University Press , U.K. ,1982 , P. 40.

كان القديس أوغسطين مقتنعاً تمام الاقتناع أن الله هو الخير الأعلى والمطلق، فهو كامل وتام المقدرة، لا نهائي وغير محدود أيضًا، ولكنه في الوقت نفسه كان مدركًا تمامًا لوجود الشر في العالم.

١- **الشر الفيزيقي** : والذي يتمثل في الألم، والعذاب، والمعاناة، والمرض، والموت.

٢- **الشر الأخلاقي** :ويتمثل في البشر الذين يتصرفون بطريقة شريرة، ويقترفون الأفعال الرديئة الخبيثة، كالحسد، والطمع، والكبرياء، والغرور، والشهوة.

ويرى أن الله الكلى القدرة، والكامل الصلاح، والخيرية يمكنه أن يمنع الشر. وهكذا فإن مشكلة الشر تتمثل في أن الله موجود، كما أن الشر أيضًا موجود في العالم. وقبل اعتناقه للإيمان المسيحي اعتنق أوغسطين الأفكار المانوية الخاصة بمشكلة الخير والشر ووجودهما معًا في العالم لمدة تسع سنوات، فذهبت المانوثة إلى أن العالم بمثابة حلبة للمعركة المتمثلة بين الخير والشر المتناقضين واللذين يمثلان أكبر القوى الكونية الأساسية المتعارضة في العالم تمام التعارض كإلهين إله للخير وإله آخر للشر. فنجد أن المانوية وضعت حلاً سهلاً وبسيطاً ومباشراً لحل مشكلة الشر في العالم، وتعتبر المانوية ثنائية المذهب لوضعها قطبين جوهرين يتمثلان في إله للخير وآخر للشر يحكمان العالم الأخلاقي البشري لكل أفعال وسلوكيات البشر في العالم.[١]

والشر لا يمكن تجنبه على الإطلاق، لأن الله وهو يخلق من عدم، فإن ما يأتي من عدم يكون قابلًا للفساد. بمعنى أن الخلق من عدم يتضمن، حكمًا وبالضرورة، الشر أو (السيء).[٢]

حين تأمل أوغسطين المبادئ الفلسفية لأفلوطين على ضوء الوحي المسيحي في الكتاب المقدس اكتشف عدم كفايتها وضرورة تجاوزها. ذلك أن القول بأن المادة هي مخلوقة شريرة يؤدي بالتالي إلى تشاؤم، وتناقض تام في التخطيط المسيحي، ولكنه حوله إلى تفاؤل ديني ميتافيزيقي في الوقت نفسه. ومن الجدير بالذكر هنا أنه على الرغم من أن كل الأشياء التي خلقها الله خيرة وحسنة، ولكنها ليست على الدرجة نفسها من الحسن أو الخيرية، فهناك ما هو خير أو حسن، ولكن هناك الأفضل منه، والأقل حسنًا أو الأقل خيرية أيضًا، وهو بمعنى ما شر.[٣]

---

(1) -Augustine's Confessions : Critical Essays , Edited By : William E. Mann, Rowman And Littlefield Publishersinc , U.S.A., 2006. P. 71.

(٢) - على زيعور ، أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية، ص ص١٧٤/١٧٥.

(٣) - إمام عبد الفتاح إمام ، مدخل إلى الميتافيزيقا، ص١٣٠.

فالشر الطبيعي يعد أثرًا وعقابًا للخطيئة، لأنها تمرد على نظام الكون الذي وضعه الله، ولكن للشر فائدة، فيكمل خبرة وحكمة الحكيم، وللشرير يعد عقابًا عادلًا.(١)

يولد كل إنسان وفي داخله ميولاً متصارعة متضاربة تجاه كل من الخير والشر على السواء. ينتصر الخير بداخله أحيانًا، وأحياناً أخرى يهزمه الشر. فالإنسان هنا يعد محاربًا ومقاتلًا. فيتقاتل الخير والشر بداخله، ومن أجله في الوقت نفسه. لذلك يجب عليه أن يشترك ويشارك في هذا الصراع، وذلك حتى يستطيع أن يقرر ويختار إلى أي جانب سيتجه، وعلى الإنسان أن يتجه إلى السلام والوحدة والإنسجام بدلًا من الصراع. كما أن الله موجود بداخلنا وحولنا يساعدنا ويعطينا الجمال والوحدة ولكل الخليقة. وحتى نتوب ونتجه إلى الله يجب علينا فعل الصلاح والخير، والبعد عن الشرور بكافة أشكالها. لا يستطيع الإنسان أن يهرب من مسئوليته في الاختيار والتي تواجهه في كل لحظة من لحظات حياته.(٢)

حتمية الصراع الأبدى الأزلى بين الخير والشر:

وفي كتابه مدينة الله (The City Of God) يرى أغسطين أن وجود كل من الخير والشر على السواء هو السبب الرئيس الذي أدى إلى الصراع بين المدينة السماوية (الربانية)، والمدينة الأرضية (الدنيوية) المادية، ونتج عن هذا الصراع تغلب مدينة الله على مدينة الشيطان، مما يؤدي بالضرورة إلى فناء ممالك الأرض وزوالها جميعًا، وذلك كما حدث للإمبراطورية الرومانية على عكس ما اعتقده الوثنيون من الرومان وغيرهم حين اعتبروا أن سقوط روما يعود إلى تخليها وتركها لآلهتها الوثنية القديمة، وإيمانها بالديانة المسيحية.

وبالتالي فإن ظهور ونشأة الكنيسة بالنسبة إلى القديس أوغسطين تعد نقطة تحول جوهرية في التاريخ البشري بأكمله، ذلك لأنها تمثل مرحلة جديدة في الصراع العنيف بين قوتي الخير والشر، فالشر لا يعد جوهرًا دائمًا، ولكنه عدم فعل الخير، ومن هنا أصبح خلاص الإنسان مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بمصالح الكنيسة. فالحياة تحتوي على كل من الخير والشر، والخير يمثله الله تعالى، والشر يمثله الشيطان ودخل الشر إلى العالم بمعصية أبينا آدم ونزوله إليها كعقاب على عصيانه وتمرده على الله. وأدت معصية آدم إلى مخالفة المشروع الإلهي في الخلق، والذي اقتضى أن يحيا البشر جميعًا في المدينة الإلهية، ولكن الإنسان لم يعد مستحقًا لذلك الشرف، ما عدا الصالحين الخيرين فحسب الذين يستطيعون الإنضمام إلى المدينة الإلهية الخالدة.

---

(١) إتيين جيلسون ، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة : إمام عبد الفتاح إمام، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ١٦٧.

(2) - A.M. Fairbairn, D.D.; The City Of God : A Series Of Discussions In Religion , Hodder And Stoughton , U.K. , London , P. 324.

دمج أوغسطين مشكلة أو مسألة الشر في إطار كوني يقيم تلازمًا بين ولادة كل من: الشر، والجنس البشري. وبالتالي فإن تجربة الشر تندرج ضمن القصة الكاملة لأصل العالم.[١]

حرية الإرادة الإنسانية وعلاقتها بفعل الشر :

وهذه الإرادة لابد وأن تكون خيرة أو شريرة، فإذا كانت هذه الإرادة خيرة، فيكون في ذلك تناقض، فكيف لإرادة خيرة أن تتسبب في حدوث فعل شرير؟ أما إذا كانت شريرة، فإن السؤال يظل قائمًا على حاله كما هو: ما الذي تسبب في الإرادة الشريرة ؟ فهل يمكن أن تكون موجودة في الطبيعة؟ وتوصل القديس أوغسطين إلى استنتاج أن الشر لا ينشأ إلا في الإرادة ذاتها حينما تتحول وتتجه بعيدًا عن الله. كما أن الإرادة الشريرة منحرفة، ومشوهة، وفاسدة لتحولها عن الله الوجود الأعظم الأسمى إلى شيء أقل قيمة، وهنا بدأت الإرادة الشريرة الفاسدة. كما أن الشر لا يمكنه أن يوجد بذاته وليس له أي كيان مستقل. ويضرب مثالًا على كلامه بأن الملائكة خلقوا أخيارًا ولكنهم أصبحوا أشرارًا من خلال إرادتهم الشريرة الخاصة.[٢]

اهتم أوغسطين كثيرًا بالبحث عن المعاني الكثيرة لمفهوم الحرية، وخاصة معنى (حرية الإرادة) Free Will ببساطة، وتعني أيضًا في أحيان أخرى الحرية في مقابل (العبودية)، بمعنى العبودية للخطيئة، أو عبودية للموت على وجه الخصوص. وبالتالي يمكننا القول إن (الحرية) هي القداسة أو الطهارة التي تحررنا من كافة أشكال العبودية سواء الخطيئة أو الموت، أو أن (الحرية) هي البعث أو القيامة التي تحمينا من الآخر. لذلك أضاف حكماء العصور الوسطى المهتمين بتصنيف المعاني المختلفة للحرية بعناية إلى الحرية السيكولوجية الخاصة بالإرادة (الحرية) التي تقابل الضرورة. ويضيفون إليها الحريات الدينية أو الخاصة بما فوق الطبيعة، والتي تخلصنا من الخطيئة، والحرية التي تخلصنا من العذاب والموت.[٣]

يرجع المذهب الإرادي (Voluntarism) في الفلسفة المسيحية، وأيضًا علاج وحلول مشكلة الشر إلى أوغسطين. ويقومان على أساس مبدأ حرية الإرادة البشرية (Liberum Arbitrism). ومن هنا تبرز الأهمية الكبرى لآراء وأفكار أوغسطين حول مسألة الإرادة الإنسانية، ونلاحظ أن التصور الأوغسطيني، ومجمل الخطاب الثيولوجي يرتكز على نقده للأفكار الغنوصية، في نفيه لجوهرية الشر : (لقد كرر الآباء اليونانيون واللاتينيون، بإجماع

---

(١) - الشر، القيمة والخطاب، أعمال ندوة الشر القيمة والخطاب بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، القيروان، ٢٠١٣م، ص ص١٨/١٩.

(2) - Nico Vorster , Created In The Image Of God. P. 53.

(٣) إيتيين جيليسون ، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة وتعليق : إمام عبد الفتاح إمام، ص٣٦٧/٣٦٨.

ضد هذه المعرفة الغنوصية للشر : بأنه ليس للشر طبيعة، وليس الشر شيئًا، ولا مادة، ولا جوهرًا، ولا عالمًا).[١]

وتوضح رسالة بولس الرسول (Saint Paul The Apostle) إلى أهل رومية الفرق بين كل من : فعل الإرادة وفاعليتها، وذلك لأنهما لا يسيران معًا طوال الوقت.

فيقول بولس الرسول فى ذلك : " فإننا نعلم أن الناموس روحى، وأما أنا فجسدي معيب تحت الخطيئة. لأني لست أعرف ما أنا أفعله، إذ لست أفعل ما لست أريده، بل ما أبغضه فإياه أفعل. فإن كنت أفعل ما لست أريده ، فإني أصادق الناموس أنه حسن. فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا، بل الخطيئة الساكنة فيَّ. فإني أعلم أنه ليس ساكنًا في، أي في جسدي، شيء صالح. لأن الإرادة حاضرة عندي، وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد. لأني لست أفعل الصالح الذي أريده، بل الشر الذي لست أريده، فإياه أفعل ". (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ٧: ١٤ –١٩)". وقد فرق أوغسطين بدقة بين كل من الإرادة والقدرة، ولكن بقيت مشكلة أخرى، لأنه من خلال التفرقة الجذرية بين الإرادة والقدرة فنخلص في النهاية إلى حرية خالية تمامًا من كل فاعلية، ذلك لأن الحرية هي القدرة على فعل ما نريد، كما أن الفصل بينهما يخالف الاستخدام المألوف للغة لاعتيادنا على القول إن الإرادة الفعالة أنها حرة.

ولكن حين نملك النعمة، يكون لدينا شيء أكثر من الإرادة الحرة مضافًا إلى قدرة أو قوة النعمة، فتتحول الإرادة الحرة ذاتها من خلال النعمة الإلهية (Divine Grace) إلى قوة وتحقق الحرية. ونلاحظ أن المشكلة هنا كانت في العثور على تنظيم وتحديد للعناصر التي يتألف منها الفعل الحر الذي ينتمي بدوره إلى الإرادة الحرة ، كما نفرق بين إرادة مستعبدة وإرادة متحررة.[٢]

يصرح أوغسطين في (مدينة الله) في الكتاب الثاني عشر على وجه الخصوص : إن الناس الأشرار يأذون أنفسهم في المقام الأول. كما أن الشر أفسد طبيعتهم الخيرة الصالحة فلا ينكر أحد أن الله هو الخير الأعلى. فالأشرار يمتلكون إرادة شريرة، ولكنهم في الوقت نفسه خيرين بحسب طبيعتهم.[٣]

---

(١) - سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م ، ص٢٠.
(٢) - إيتيين جيليسون ، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ص٣٦٩.
(3) - The Works Of Aurelius Augustine , Bishop Of Hippo , A New Translation , Edited By. The Rev. Marcus Dods, M.A, Vol (I) , The City Of God , T And T Clark, Edinburgh, 1878 , P. 484.

ويرى أوغسطين أن حرية الاختيار الموجودة داخل الإرادة الإنسانية هي سبب الشرور، فأصل الشر كامن في الطبيعة البشرية الفاسدة، المنحرفة، المشوهة.

ولكن الإرادة بصفة خاصة – بوصفها طبيعة أي كائن – فهى تتصف بالخيرية والصلاح. وذلك لأنه دون وجود للإرادة، لا يمكن أن توجد حياة خيرة. وأن الله هو مصدر الإرادة، وأنها تأتينا من الله ذاته كهبة. كما أن الإرادة ليست خيرة تمامًا خيرًا مطلقًا في حد ذاتها، كالعدالة، والقوة، والعفة، على سبيل المثال. والإرادة في حقيقتها عبارة عن أداة ذات طبيعة جيدة خيرة وصالحة في الوقت نفسه. ولكن الجدير بالاهتمام أن نذكر هنا أن مفعول الإرادة يمكن أن يكون شيئًا، وذلك حسب استخدام الإنسان لها. فكما أن العقل هو مصدر العلم بعلم ذاته، والذاكرة هي مخزن للذكريات، وتتذكر ذاتها، كذلك أيضًا الإرادة : إنها تعد سيدة ذاتها، حرة، وهي التي تسىء استعمال الخير أي ذاتها (لأنها خير في حد ذاتها).

والله مصدر لكل شيء ولكل خير بطبيعة الحال. كما أنه خلق الإرادة سيدة ذاتها، وهي تستطيع أن ترتبط أو تحيد عن الخير الأسمى. يمعنى أن الله يوجه الإرادة إلى الخير : ولكن لها الحرية في القبول أو الرفض. وبفعل الإرادة للخير، فإنها بذلك تشترك مع الله خالق كل الأفعال. ويصرح أن البحث عن مصدر الشر هو البحث عن مصدر غير موجود. ذلك لأن الصمت هو غياب الصوت، والظلام أيضًا هو غياب النور. ويفسر كذلك الخطيئة الأولى بقوله : (إنها نقص محبة الله في الإرادة، ولكن الله يساعد الإرادة ويعينها عندما تقع أو تخطئ بواسطة النعمة). [١]

يجيب القديس أوغسطين في كتابه (مدينة الله) عن السؤال: كيف نشأ فعل الشر الأصلي أو الأول في العالم ؟ ويرى أنه ليس هناك سبب كافٍ للشر الأول، لأنه لا شيء يمكنه أن يُسبب أو أن يكون علة للإرادة الشريرة. طالما أن الإرادة الشريرة ذاتها هي التي تتسبب في حدوث الفعل الشرير. بالإضافة إلى أن أي شيء يمكن أن نفترض أنه سبب أو علة الإرادة الشريرة لابد وأن يكون له إرادة هو ذاته.[٢]

ويذهب إلى أن الإرادة الشريرة هي المسئولة عن الأفعال الشريرة، وهي التي تتسبب أيضاً في فعل الخطيئة. ويتساءل ما الذي جعل الإرادة شريرة في المقام الأول ؟ ويجيب : (إن لاشيء جعل الإرادة الأولى شريرة، لأنها كانت شريرة دومًا). فالإرادة متقلبة، ومتغيرة، تتأرجح دومًا ما بين الخير والشر ، فلا تكون خيرة أو شريرة طوال الوقت، فحين تميل وتتجه

(١) - على زيعور ، أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية، ص١٧٦.

(2) - Nico Vorster , Created In The Image Of God : Understanding God's Relationship With Humanity , Pick Wick, Publications , Oregon, U.S.A. , 2011, P. 52.

الإرادة نحو الشر، فهي بذلك تبتعد عن حيز ونطاق الخير، لذا لكي نكون أكثر دقة يجب علينا القول والإقرار أن الإرادة الشريرة كانت خيرة وصالحة في السابق. ولكن الشر كان قادرًا على إفسادها واختراقها وتشويهها. وهنا نجد أن الشيء الوحيد المقترح للإجابة عن السؤال المطروح هو أن شيئًا ليس لديه إرادة في ذاته جعل الإرادة شريرة، ويبقى الافتراض أو الفرض أن الذي جعل الإرادة الأولى أو الأولية شريرة هو الشيء نفسه الذي خرَّب وأفسد إرادة ذات طبيعة ملائكية، والتي كانت هي أول من يخطيء، وهي التي كانت رديئة ووضيعة في حد ذاتها دون وجود الإرادة.(١)

يؤكد أوغسطين على حرية الإرادة الإنسانية، وذلك بعكس أفلوطين الذي ينكرها. ويعرف حرية الإرادة على أنها : (القدرة على قبول تصور ما أو رفضه). فالحرية ليست هي القدرة على الاختيار بين الخير والشر، ذلك أن اختيار الشر نقص، فلو كان شرطًا للحرية لما كان الله حرًا، ولكنه هو واهبنا الحرية، ونجد أن أول دليل على الحرية هو شهادة الوجدان: فإذا لم تكن الإرادة التي بها أريد أو لا أريد ملكًا لي، فلست أدري ما الذي أستطيع أن أقول عنه إنه ملك لي)، فبالحرية يتم إنكار الحرية، بالإضافة إلى أن إنكارها يحمل تناقضاً. فالناس تمدح، وتذم، وتثيب، أو تعاقب بناء على ما يشعرون به في ذواتهم من حرية، ويؤيدها أيضًا اختلاف التصرفات والأفعال في الظروف المتشابهة. (٢)

كما أن أوامر الله ونواهيه تصبح لغوًا بلا قيمة إذا لم يكن الإنسان مسئولًا عن أفعاله وتصرفاته الخاصة. فلا تكليف ولا حساب دون حرية. ويرى أن أفلوطين أخطأ في القول بتأثير النجوم والقدر الأعمى والتنجيم على أفعال الإنسان. فليس هناك رابطة بين النجوم والكواكب وبين المستقبل الإنساني، وحتى إذا صدق المنجمون، يكون ذلك مصادفة فحسب ونلاحظ أن للإرادة قانونًا يتبعه قانون طبيعي نجده في أنفسنا وفي الأشياء من حولنا. فلكل موجود ماهية ثابتة ونظام وميل طبيعي نحو غايته، ويتجه إليها الموجود العاقل بإرادته وحريته.(٣)

ويذهب إلى أن الإنسان سقط في الخطيئة الأولى والشر بسبب انقياده وانجذابه للغواية الشريرة التي كان لها أثر كبير وتأثير في إرادته.(٤)

ولكن الإنسان قادر من خلال عقله على التمييز بين كل من الخير والشر، كما أنه قادر بإرادته الحرة على اختيار الخير دون الشر.

---

(1)- The Works Of Aurelius Augustine , P. 488.

(٢) - يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٤م ، ص٣٩.

(٣) – سامى العامرى ، مشكلة الشر ووجود الله ، ص٩٥.

(4) - The Works Of Aurelius Augustine , P. 489.

التوحيد بين الحقيقة والأخلاق :

يوحد أوغسطين بين كل من : الحقيقة والأخلاق من خلال النظرة المسيحية إلى الوجود، وخاصة لدى القديس بولس الرسول. وترجع كل المسائل الأخلاقية في النهاية إلى مشكلة الخير والشر، فالخير هو السير على مقتضى القانون الإلهي أو الطبيعي. أما الشر فيعد مخالفة القانون الطبيعي. فالحقيقة الوجودية لكل من الخير والشر هي أن الخير يعد شيئًا بالفعل في حد ذاته، أما الشر فلا يمكن اعتباره وجودًا حقيقيًا، وهو سلب محض، سلب للخير وللنظام. ويصرح أن علة الخير هي علة فاعلية، أما علة الشر فهي علة نقص، فالخير شيء إيجابي وجودي، والشر هو عبارة عن نقصان أو عدم. فيمكننا أن نطلق على الخير اسم الفعل (Effective)، ولكن الشر لا يمكن وصفه من الناحية العلية إلا بأنه النقص (Defiectio). ونلاحظ رجوع أوغسطين عن معتقداته الأولى الخاصة بالمذهب (المانوي) التي اعتقد خلالها أن الشر هو مبدأ الوجود. ولكنه بعد إيمانه بالديانة المسيحية واتصاله الوثيق بالأفكار الأفلاطونية جعل الشر عدمًا وسلبًا للخير.[1]

التوفيق الأوغسطينى بين الإيمان المسيحي وبين الأفلوطينية :

يعدل أوغسطين الآراء الأفلوطينية، ويناقشها بهدف إيضاح وتفسير آرائه الخاصة. فبالنسبة إلى أفلوطين، فإن الشر هو (المادة)، ففي نظريته في (الفيض) يقول إن المخلوقات تصدر بالضرورة عن الله، وكلما ابتعدت بأصلها عنه، ازداد نقصها بمعنى أنه يقل كما لها وقربها من الله من أدنى إلى أدنى، وذلك حتى نصل إلى المادة والتي هي أدنى شيء ولا أدنى منها. والمادة بذلك لا معينة وغير متصورة وليس لها صورة، كما أنها عدم وجود، إنها الشر. فالمادة بالنسبة إلى أفلوطين هي (اللا خير)، وعدم الوجود، وبذلك هي الشر، وعدَّل القديس أوغسطين في المبدأ الأفلوطيني وحذف منه.

أولًا: القول بأن المادة لا وجود. فالمادة بالنسبة إلى أوغسطين مهما صغرت، تبقى موجودة رغم ذلك، لأنها تأخذ صورة ما، وتصبح قابلة للتحديد والتعيين عندها.

ثانيًا: بالتالي، بما أن المادة موجودة فلا يمكن أن يكون موجود ما من الموجودات شرًا في حد ذاته. وذلك لأن مبدأ أوغسطين يقول إن كل طبيعة هي في حد ذاتها خيرة، وحسنة، وليست شريرة.

---

(١) - عبد الرحمن بدوي ، فلسفة العصور الوسطي، ص٣٦.

مصدر الشر فى العالم :

يذهب أوغسطين إلى أن الشر ليس صادرًا بالضرورة عن الله (كما يقول أفلوطين). فيؤمن بأن الله لا يصدر عنه إلا ما هو من طبيعته، حسن وخير فحسب.

ولكن هل وجود الشر فى العالم يعتبر ضرورة فعلاً ؟

ينفي أوغسطين ضرورة وجود الشر في العالم التي قال بها أفلوطين. وذلك النفي من خلال تعريفه للشر بأنه عبارة عن نقص ما في الكمالات أو الخصائص، أو خلل أو فساد في النظام. لذلك فإن الشر ليس ضروريًا عند أوغسطين، لأن الشر لو لم يكن موجودًا لكان ذلك أفضل بكثير للنظام الكونى. أما بالنسبة للتناقض الأوغسطيني في الأفكار والرؤى مع المذهب المانوي للشر ومفهومه، ومصدره، وطبيعته، فهو تناقص في غاية العمق، فمن المستحيل أن يتفق إيمان أوغسطين بالمسيحية مع القول بأن الشر إله موجود فعلًا بجانب إله آخر للخير يتنازع معه.

ونستخلص من العرض السابق للفكر الأوغسطيني أنه تبنى في البداية الحل المانوي للشر، ثم تخلى عنه أيضًا، وقدم أفكاره ونظريته الخاصة به حول الشر. فالشر ليس جوهرًا أبديًا أزليًا كما زعم المانويون، فالله لا يخلق الشر، ولكنه يقف ضده. الشر نقص، وحرمان، وبالتالي فهو ليس ضروريًا. ولكن على الرغم من بشاعة الشر، والآلام، والآثام المترتبة عليه والناتجة من وجوده، ولكنه يساهم في إظهار نظام العالم وترتيبه. كما أن الشر قائم وموجود بسبب ضلال، وفساد، وإنحراف، وزيغان الإرادة البشرية، وذلك الزيغ والفساد يرجع إلى الخطيئة الأصلية (Original Sin)، والتي نتجت ونشأت بسبب سوء استخدام الحرية فى المقام الأول. أما بالنسبة إلى سبب تعرض هذه الحرية للخطأ ؟ أو لماذا لم تخلق الحرية ذات طبيعة متوجهة دومًا نحو الخير فذلك يعد سرًا من الأسرار الكونية التي لا يعلمها إلا الله وحده. (١)

نقل أوغسطين المفاهيم الميتافيزيقة الخاصة (بالفساد) و(الانحراف) والتشوه إلى العالم الروحاني للأخلاق. فنجد أنه يعرف (الشر) بأنه (الانحراف) أو التشوه. وبالطريقة نفسها رمز بسهولة إلى الاختلاف بين الخير والشر من خلل تحويل الأخلاق الميتافيزيقة المتناقضة مثل: (الشبيه – المختلف)، (النور – الظلام)، (الألفة – الغربة)، (الحر – الأسير)، (الكمال – المعيب)، (العودة – الرحيل) وغيرهم إلى الدلالة على التقدم التدريجي في التشبيه وتقليد الله.(٢)

---

(١) - على زيعور ، أوغسطينوس ، ص ص١٧٧/١٧٨.

(2) - Saint Augustine , The Fathers Of The Church , The Happy Life , Translated By : Ludwig Co. Schopp , Denis J. Kavanaagh, Cima Publishing , New York , U.S.A, 2008 , P. 18.

وهنا يبرز تساؤل في غاية الأهمية شغل أوغسطين منذ فترة شبابه وانضمامه للمذهب المانوي: إنه إذا كان العالم من صنع الله تعالى، وكان الله هو الخير بالذات، فكيف يوجد الشر في العالم ؟ أو بمعنى آخر كيف يتفق وجود الشر في العالم مع وجود الله الخير والكمال بالذات ؟

وللإجابة عن هذا السؤال الجوهري طبق أوغسطين فكرة أفلوطينية، ولكنه طبقها تطبيقًا جديدًا، ونتج عن ذلك أنه حصل على حل ونتيجة جديدة تمامًا، وهذه الفكرة مفادها باختصار أن كل موجود فهو خير بما هو وجود، وأن الشر، هو عدم الخير، وهو لا وجود، فالموجودات عند أفلوطين في صدورها عن الموجود الأول أو الله، تتضاءل بالتدريج حتى تصل إلى المرتبة الأخيرة، والتي هي المادة (اللا معينة واللامصورة الناقصة أبدًا): فالمادة عبارة عن لا وجود، وبالتالي فالمادة لا خير، وهي الشر بالذات، كما أن المادة هي أصل الشر في الموجودات المركبة منها أو المتصلة بها.

ولكن، هل المادة تعد شراً ؟

رفض أوغسطين الرأى الأفلوطينى القائل بأن المادة تعد شراً ، وذلك لتناقضه الواضح مع قول الكتاب المقدس (The Holy Book) : (ورأى الله كل ما عمله، فإذا هو حسن جدًا). (سفر التكوين ١: ٢١). ويبرهن على ذلك بأن المادة شيء حسن لأنها من خلق الله، لذلك لابد وأن تكون شيئًا خيرًا وحسنًا وليس شرًا. فالمادة إذن لا يمكن أن تكون هي مصدر الشر في العالم.[١]

المادة هي أصل الرذائل والأمراض فى الفكر الأفلوطينى، ولكن أوغسطين يذهب إلى أنه مهما بالغ أفلوطين في احتقار المادة، والحديث عن مدى ضآلتها، فهو مضطر في النهاية إلى اعتبارها وجودًا ما، وإلا لما دخلت المادة في تركيب معظم الأشياء، بالإضافة إلى أن المادة مهما كانت لا معينة ولا مصورة، فإنها على الأقل موضوع لكل من الصورة والتعيين على حد سواء. وأنه بالنسبة لأفلوطين فقد خالف مذهبه من ناحيتين : وذلك في اعتباره للمادة وجودًا وجعلها شرًا بالذات، فأولًا : قول أفلوطين إن الموجود الأول هو الخير بالذات، ولا يمكن أن يصل الصدور عنه إلى أية شر، فتكون المادة خيرة من حيث إنها وجود، وأيضًا من حيث صدورها عن الله، كما أنه من التناقص تشخيص الشر، الذي هو في الحقيقة لا وجود، في المادة مع أفلوطين، أو في إله مع المانويين.[٢]

---

(١) - إمام عبد الفتاح إمام ، مدخل إلى الميتافيزيقا، ص١٢٧.
(٢) - يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ص٤٤.

يهاجم أوغسطين المانويين بقوله: "أنتم أيها المانويون غالبًا بل في كل حالة تجلبونها إلى مذهبكم من أين أتى الشر ؟ وما هو مصدره ؟ فلنفترض أنني قابلتكم الآن للمرة الأولى سأسألكم توضيح شيء ما، فأنتم دومًا تسألون من أين أتى الشر إلى العالم ؟ وأنا أسألكم أيضًا في المقابل : ما الشر؟ ولكن أي من هذين السؤالين الأكثر معقولية ؟ فليس من الصواب أن نسأل من أين أتى شيء ما دون أن نعرف هذا الشيء أولًا، ونوضح طبيعته وماهيته في البداية، لئلا يكون هذا الشيء حقيقته مجهولة بالنسبة إلينا. وإجابتكم صحيحة حينما تقولون إن الشر هو شيء ضد الطبيعة، وهذا صحيح تمامًا بالطبع. فالشر ليس طبيعياً وليس له كيان ولا طبيعة معينة محددة، كما أنه جوهر بالنسبة لكم. ولكن إذا اعتبرتم المادة دون جوهر، فإننا نرى هذا الشر يسقط بعيدًا عن الجوهر، ويحيل إلى عدم الوجود. وطبقًا لذلك فإنه حينما أعلنت الكنيسة الكاثوليكية أن الله هو خالق كل الطبائع والجواهر، ومن يفهمون هذا يفهمون في الوقت نفسه أن الله ليس هو خالق الشر، فكيف يكون من خلق كل الخليقة والموجودات يكون في الوقت نفسه هو سبب هلاكهم وفنائهم، وسقوطهم من الجوهر والإتجاه نحو عدم الوجود ؟" [١].

هل الشر حقيقة ذاتية لها وجود استقلالي، أم أنه عرض انتزاعي لا يستقل لنفسه بكيان ؟

شغل هذا السؤال حول ماهية الشر المفكرون والفلاسفة منذ قديم الزمان. والخلاف حول ماهية الشر يقوم على اختيار جواب من جوابين :

أولهما: إن الشر حقيقة موضوعية، وثانيهما: إن الشر ما هو إلا غياب الخير (Privation Of Good). ولكن الدعوى أن الشر يمثل (شيئًا في ذاته) هو مجرد مغالطة منطقية، بمعنى : مغالطة التشيؤ أو التجسيم (Reification)، إذ يتم التعامل مع الأشياء المجردة (Abstract) على أنها ذوات متحيزة أو أحداث واقعية. فالشر في حقيقة الأمر وفي واقع الحياة ليس مادة تُحس ولا ذاتًا تُجس.

ولكن الشر مجرد أثر لفعل أو حال ما، فلا وجود لشر مطلق، لذلك فإن الشر أمر نسبي أو جزئي. لذلك لابد لنا من أن نعتبر أن الشر صفة (Adjective) وليس ذاتًا، ولا يعامل معاملة الاسم إلا إذا كان في صيغة التجريد. فالشر في الحقيقة مجرد حال وصفي، وبعبارة : (كورنليوس بلنتنجا) (Cornelius Plantinga) : (إن الشر هو غير ما يجب أن يكون عليه الشيء) (The Way It's Not Supposed To Be). ويخلص أوغسطين إلى

(1) - Saint Augustine Of Hippo, St. Augustine's Writings Against The Manichaeans And The Donatists , Creat Space Press, U.S.A., 2012, PP. 54/55.

أن الشر ليس إلا عارض فساد في شيء من أشياء الوجود التي هي في أصل وجودها سليمة من العيب، مثل الجرح في اليد، والصدأ في الحديد، فلولا اليد، وأصل سلامتها، ما كان الجرح، وما عرفنا أنه انتقال عن أصل السلامة، ولولا مادة الحديد وأصل براءتها مما يخربها، ما كان الصدأ، وما علمنا أن الصدأ فساد في هذا المعدن، فالجرح كشر لا يقوم بنفسه، وإنما يحتاج إلى يد، ولم نعرف أنه أذى يصيب اليد حتى علمنا قبل ذلك أن الأصل في اليد المعافاة والسلامة منه، وكذلك الحديد وكل شر موجود في عالمنا.(١)

لا أحد يستطيع أن ينكر أن الله هو الخير الأعظم الأعلى ، لذلك فإن أي نقصان في درجة الخيرية أو الصلاح يعتبر شرًا بالنسبة إلى الله، والذي هو على العكس أو على النقيض من الخير. وفي الوقت نفسه فإن الطبيعة نفسها ليست أقل خيرية، لأن نقص الخيرية يعد شرًا. ولذلك فإن الشر كنقصان في بعض الخير، أو في درجة أو مستوى الخيرية يعد نقيضًا لهذا الخير، والذي هو الخير بالفطرة أو بالطبيعة. وبالنسبة إلى الطبيعة وليس إلى الله بالطبع، فإن النقصان في بعض الخير لا يعد شرًا فحسب، ولكنه يؤذي الله تعالى أو يضره، ولكنه يضر بالطبيعة، ويتمثل في نقص الجمال أو الصحة، أو في نقص الفضيلة أو نقصان في أي خير طبيعي، والذي يضيع ويفقد من خلال الخطيئة أو المرض. ومن ناحية أخرى فإذا كانت الطبيعة لا تملك أي خيرية أو صلاح لتفقدهما، فمن أين أتاها النقص والاضطراب والمعاناة والألم والعذاب؟(٢)

القانون الطبيعي :

هو عبارة عن أمر باحترام الطبائع واحترام نظامها، وذلك يهدف إلى تحسين النظام العام، ومن هنا نستخلص أن الخير يعتبر خيرًا لأنه يطابق النظام، والشر يعتبر شرًا لأنه يعارضه ويخالفه. ومن هنا تكون طاعة القانون (فضيلة) تستحق الثواب والثناء، ومخالفته رذيلة تستحق العقاب والذم. والمبدأ الأساسي للقانون الخلقي يتمثل في : إخضاع الحواس للعقل، وإخضاع العقل لله، فتتجه حياتنا بأكملها إلى الحصول على الله، لأن ذلك هو الترتيب الطبيعي، كما أن المجرمين يسمعون صوت القانون الطبيعي في ضمائرهم، ويحاولون إسكاته وخنقه ورغم ذلك لا ينجحون.

---

(١) - سامي عامري ، مشكلة الشر ووجود الله الرد على شبهات الملاحدة ، ص ص٩٦/٩٧.

(2) - Saint Augustine, The City Of God , Books Vlll- Xvl, The Fathers Of The Church , Translated By : Gerald G. Walsh , The Catholic University Of America Press, U.S.A , 2008 , P. 249.

ذلك لأن الشر في حقيقته هو (عدم خير في موجود هو خير بما هو موجود). بمعنى أن الشر عبارة عن فساد إحدى خصائص الموجود، كما أنه يختلف ويتفاوت بتفاوت الفساد، مثل العمى، أو عدم الرؤية في حيوان أو إنسان، فإنه خير بسائر أعضائه السليمة، وعلة مكان فقدان المخلوق خيرًا، وأن وجوده وصفاته ليست له بالذات، حتى لو كان صادرًا عن ذات الله، كما يزعم أفلوطين، لكان من طبيعة الله، وعندها، فإنه لا يمكن فساده، وبالرغم من ذلك فإن الشرور ليست طبيعية ولا ضرورية في العالم، كما يزعم أفلوطين أيضًا، أما بالنسبة إلى أوغسطين فإن الشرور تعد بمثابة إخلال بالنظام، ولو خلا العالم منها، لكان ذلك أجمل بكثير.[١]

وليس هناك شر طالما أن كل الطبيعة خيرة، ولن يكون هناك أي شيء شرير. وحين يكون الشيء شريرًا في ذاته، فإن هذه ليست هي طبيعته التي خلق عليها في الأصل.

فيقول الوحي الإلهي المقدس في بشارة متى الإصحاح الثاني عشر والآية الخامسة والثلاثون : (الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يخرج الصالحات ، والإنسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور).

ويقول إشعياء النبي : (ويل للقائلين للشر خيرًا وللخير شرًا، الجاعلين الظلام نورًا والنور ظلامًا، الجاعلين المر حلوًا والحلو مرًا). إشعياء ٥ : ٢٠

فالإنسان الشرير ليس إلا طبيعة شريرة، ولنذهب أبعد من ذلك في التفسير، ونقول إذا كان بداخل الإنسان بعض الخير، لأنه جزء أساسى من الطبيعة، فما هو الإنسان الشرير وتعريفه؟ فلا يعد شريرًا تمامًا وذلك لأنه إنسان، والإنسان خير بالفطرة وبالطبيعة، ولكنه ليس خيرًا أيضًا لأنه غير صالح. وباختصار هو خير لأنه إنسان من حيث الطبيعة، وشرير لأنه غير صالح.[٢]

يناقش القديس أوغسطين الفروق العديدة وأهم الاختلافات الجوهرية بين كل من الخير والشر، فمثلًا : نجد أن الطعام والشراب لا يمكن بحال أن يكون حلوًا ومرًا في الوقت نفسه، لذا نجد أن الخير والشر أو النور والظلمة لا يمكن تواجدهما معًا في الوقت نفسه. بدليل أنه لا يمكن أن نجد جسمًا ما في الوقت نفسه، وفي المكان عينه أبيض وأسود مثلًا، أو جميلاً وقبيحًا معًا. فمن المعلوم أن المتناقضات لا يمكن أن تتواجد معًا في الزمان والمكان نفسه وفي الشيء نفسه وهذه قاعدة منطقية تمامًا.

---

(١) - يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوروبية، ص٤٤

(2) - Saint Augustine , On Instructing The Unlearned , P. 166.

وبالتأكيد وبلا أي شك فإن الخير والشر متناقضان، فلا للشر التواجد مع الخير. فيقول الكتاب المقدس : (أية شركة للنور مع الظلمة). في رسالة الرسول بولس الثانية إلى أهل كورنثوس (٢ كو ٦: ١٤).

وأما بالنسبة إلى الخير نجد أنه يمكنه التواجد دون وجود الشر في العالم، وسيكون ذلك أفضل بكثير بالطبع، فيستطيع الإنسان أو الملاك التواجد في الحياة دون أن يكون شريرًا. ومن جهة أخرى لا يستطيع أي شيء أن يكون شريرًا إلا الإنسان والملاك. وأيضًا بما أن الإنسان إنسانًا، والملاك ملاكًا، فهما طيبان، وصالحان، وخيران، بالطبيعة وبالفطرة.

فالتناقض المتمثل في الخير والشر موجود في الإنسان، ويرجع الشر إلى الفساد الذي حدث في الطبيعة البشرية، أما الخير فيرجع إلى الفطرة الطبيعية الأصلية التي جبل الله الإنسان عليها منذ بداية الخليقة، وهي الوضع الأصلي للبشرية. ويتصارع كل من الخير والشر بداخل النفس البشرية، وعليه الاختيار للخير بإرادته الحرة.[١]

بين أوغسطين وأفلوطين :

أولًا : في أن الوجود والخير متساويان. فلا يمكن أن يكون موجود ما شراً بالذات.

أما الثانية : في قول أفلوطين إن الموجود الأول هو الخير بالذات. فالمادة خير من حيث إنها وجود، ومن حيث صدورها عن الله، لذلك فإن الشرور ليست طبيعية ولا ضرورية في العالم كما قال أفلوطين. فالشرور بالنسبة للقديس أوغسطين تعتبر بمثابة إرتباك، وإخلال بنظام العالم وترتيبه، كما أن العالم سيكون أجمل بكثير إذا خلا من تلك الشرور.[٢]

أو بمعنى آخر التطور تدريجيًا من الخير الأعلى حتى نصبح أعظم وأفضل، أو أن نصبح أصغر شأنًا وأسوأ. لنتحسن ونصبح خيرين وسعداء بالاقتراب تدريجيًا، والتشبه بالصلاح والخيرية الإلهية لله تعالى. لذلك فإن الإنسان الحكيم يحاول أن يتشبه بالله، ويحاول فهمه من حيث علمه وأحكامه، فالله هو الحق بذاته، ومن يقترب منه ويتصل به يعطه من حقه وحكمته. والحكيم يكون خيراً وأخلاقيًا بقدر اقترابه واتصاله بالله الذي هو الخير الأعظم، فبالله وحده يستطيع تحقيق السعادة الحقة الدائمة.[٣]

---

(1) - Saint Augustine (Of Hippo) , The Augustine Catechism : The Enchiridion Of Faith , Hope, And Love, New City Press, U.S.A. 1996, P.14.

(٢) - يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ص ص ٤٨/٤٩.

(3) - Saint Augustine , The Fathers Of The Church , P. 19.

السعادة الأبدية :

يصرح أوغسطين بأن السعادة الأبدية الدائمة لن تتحقق إلا حين يبطل وينتهي كل شر، ويخرج كل خير إلى النور. ويكون الإنسان في مأمن من السقم والهموم بكافة أنواعها، كما أن الأعضاء ومفاصل الجسد غير القابل للفساد والتي تخضع الآن لحكم الضرورة في كافة الوظائف لن يكون لها مكان فيما بعد، ولكنها تمتلك السعادة الأبدية التامة الكاملة والتي لا يشوبها كدر، وكلها ستجد الله وتسبحه.(١)

اعتقد أوغسطين أن الفلاسفة الأكاديميين (Academiciens) أحكم من غيرهم، الذين ذهبوا إلى أن الشك واجب في كل شيء في الحياة، وأن الإنسان عاجز عن فهم الحقائق، وظن أن تعليمهم هو التعليم الصحيح، وذلك لجهله بنواياهم الأصلية.(٢)

ينشأ الشر ويبدأ داخل الإرادة في المقام الأول. ونجد أن أفلاطون لديه تفسير لابد وأن يؤخذ بعين الاعتبار أيضًا. فإذا قبلنا الرأي بأن كل الشر في الكون، وحتى الشر الموجود في حدث مثل : الزلزال، والذي يبدو أنه لا يتصل، أو ليس له أية صلة بأي شيء خاص بالإرادة الإنسانية أو الملائكية – نسبة إلى الملائكة – فيمكن نسبتها حتى إلى فعل الإرادة. ونلاحظ أن أفلاطون يقول في محاورة (تيماوس) (Timaeus) أن الأجسام تتحرك أولًا في البداية من خلال النفوس أو بواسطتها سواء كانت خيرة أو شريرة. وأن حركة الجسم تجعله يتصل ويتواصل بنفسه مع جسم آخر.

وهذه الحركة المتنقلة ليست عقلية ولا غرضية في الوقت نفسه ولكنها حركة عشوائية. كما لو أن أخيلوس (Achilles) دفع هيكتور (Hector) وفي سقوطه أوقع بعض الأوراق من شجرة احتك بها بالصدفة، ونجد أن هذه الحركة غير المتنظمة هي عبارة عن نتيجة حتمية لفعل النفس تجاه الجسم. مما يتوافق ويتماشى مع الطبيعة العشوائية للشر، والتي يجب أن تكون كذلك. فيجب أن نتوقع عنصر الصدفة حتى نحرك سلسلة السبب والنتيجة، والتي تبدأ أو تخرج من الفعل الشرير للإرادة العاقلة نحو عواقبها ونتائجها المطلقة. ويمكن أن يكون من الصعب أن نكتشف كل الروابط الموجودة في هذه السلسلة، ولكن يجب علينا أن نتوقع أن البعض منها يصعب إيجاده، وذلك لأن الشر يغطي الأشياء في الظلام، فكل أعمال الله منظمة ومرتبة للكون، وتكون واضحة على عكس الشر موجود في عدم النظام والإختباء.(٣)

---

(١) - القديس أوغسطين ، مدينة الله، المجلد الثالث، الكتب من (١٨-٢٢)، ط٢ ، نقله إلى العربية : الخوري أسقف يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧، ص٤٠٩.

(٢) - اعترافات القديس أغوسطينوس ، نقله إلى العربية : الخوري يوحنا الحلو ، ط٤ ، التراث الروحي، المكتبة الشرقية، دار المشرق، بيروت ، لبنان ،١٩٩١، ص٩١.

(3) - Gillian R. Evans, Augustine On Evil, Cambridge University Press, U.K., 1990 , P. 98.

فالخير موجود وكامل تمامًا، وذلك دون الحاجة إلى وجود الشر، فالخير قائم بذاته ولا يحتاج إلى وجود الشر مطلقًا، لأنه كامل وتام بذاته. ولكن لا يمكن وجود الشر دون وجود الخير من ناحية أخرى. وهكذا نصل إلى النتيجة التالية : إنه طالما كان كل موجود خيرًا بما أنه موجود، وحين نقول إن الكائن الناقص في درجة خيريته هو كائن شرير، يبدو من ذلك أننا نقول بصورة ما إن ما هو خير هو كائن شرير في الوقت نفسه وهذا بالطبع تناقض واضح.(١)

الشر ذو طبيعة مماثلة كما في المانوية، لا شكلها الخاص بها الممقوت والذي يكون إما كثيفًا كالتراب، أو لطيفًا كالجرم الهوائي، فتخيلوها بمثابة روح شريرة تزحف على الأرض. ويقول أوغسطين إن تقواه العمياء أرغمته على الاعتقاد بأن الله صالح لا يخلق طبيعة شريرة. لذلك فقد قارن بين هاتين الطبيعتين اللامحدودتين : الشريرة منها على قياس أصغر ، والصالحة على قياس اكبر ، ويضيف أنه انتقل بعد ذلك من ذاك المبدأ الوخيم العاقبة إلى نتائجه الفظيعة، وأنه حين كان يحاول الرجوع إلى الإيمان، كان يشعر بصدمة ترده وتبعده عنه بسبب أن الفكرة التي كونها لنفسه عنه كانت فكرة مغلوطة تمامًا.

فعلى الرغم من إيمانه بأن الله غير متناه، في جميع أجزائه، لكنه اعتقد خطأ بأن الشر ينتصب لمقاومته، مما اضطره للاعتقاد بأنه متناه في جميع أجزائه ، ولكن ليس على مثال الجسم البشري. فالله لم يخلق الشر، وذلك لأنه ذو طبيعة تشبه بشكل ما الطبيعة البشرية في اعتقاد أوغسطين، وأن الروح تشبه جسم رقيق نافذ ينتقل في الأجواء.

يتحدث أوغسطين أنه بعد كل هذا الشك، والحيرة، والإرتباك الفكري اختار المعتقد الكاثوليكي الذي وجد فيه الحكمة والصراحة الكلية. ولم يجد فيه الرياء المانوي الهازئ بالإيمان، فتطلب المانوية الإيمان بالكثير من الأمثال الخرافية التي لا يمكن التثبت منها.(٢)

نجد أنه بعد قيام الديانة المسيحية اتخذت نظرية العناية الإلهية طابعًا دينيًا مسيحيًا، فتبلورت لدى القديس أوغسطين بصفة خاصة.(٣)

وضع أوغسطين التجارب الشخصية والخبرات المجتمعية في وضع تبادلي مشترك بين خيريتها الوجودية الأنطولوجية وبين شرها المتعمد الإرادي. كما صرح بأن الحرب تكون مبررة وعادلة من خلال العقل البشري طالما كان خيرًا وصالحًا في غاياته وأهدافه. والجدير

---

(1) - Marcus Dods D.D. , The Works Of Aurelius Augustine Bishop Of Hippo , On Christian Doctrine : The Enchiridion: On Catechising and On Faith And The Creed , Second Edition , Vol (IX) , Edited By : J. F. Shaw , T And T Clark , Edinburg , 1877 , P. 183.

(٢) - الخوري يوحنا الحلو ، اعترافات القديس أغوسطينوس، ص ص٩٢- ١٠٣.

(٣) - أحمد محمود صبحي ، في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٧٥، ص١٦٧.

بالذكر هنا أنه لا يوجد لقوى شر خالص في الكون بالنسبة لأوغسطين، والذي هو على العكس وعلى النقيض تمامًا من الخير. وفي الحقيقة فإذا لم يوجد الخير، فلن يوجد ما يسمى بالشر أيضًا، ولن يستطع أن يتواجد وحده في العالم.[1]

اعتناق أوغسطين لمذهب (الثنائية المانوية) Manichean Dualism :

اعتنق أوغسطين الثنائية الفارسية التي تؤمن بوجود – إله الخير (أهورا مزدا)، إله الخير والنور، والناس الصالحين الأخيار، وهو إله لكل ما هو طيب وصالح وجميل في العالم، وإله الشر (أهريمان) إله الظلمة والناس الأشرار، كما أنه إله لكل ما هو سيء ورديء وقبيح في العالم. وكان يوجد صراع وحرب مستمرة دائمة بين الإلهين (الخير والشر)، وبين جميع أعوانهما وأتباعهما، أو بين المملكتين (النور والظلام)، وكانت حرب طاحنة على أشدها، وهذا الصراع لن ينته إلا في آخر الدهر بفوز ونصر إله الخير وأتباعه الأنقياء الطيبين. أما بالنسبة إلى أوغسطين فقد اعتنق (الثنائية المانوية) حوالي تسع سنوات، لأنه رآها بمثابة وسيلة سهلة وبسيطة لفهم العالم الذي يتكون من كل من الخير والشر في الوقت نفسه.

فكان من الطبيعي أن توجد الظلمة بجانب النور، أو الشر بجانب الخير، وأن يكون ملازمًا له على الدوام في الحياة، وبذلك يكون الشر عنصرًا أساسيًا في طبيعة الحياة البشرية، وهكذا وجد أوغسطين ما يبرر واقع وحقيقة وجود الشر في العالم، ولكنه حين بدأ الاستماع إلى عظات القديس (أمبروزيوس)، والذي كان أسقفًا للكنيسة الكاثوليكية، والذي اهتم بشرح الكتاب المقدس الرد على المانويين وغيرهم من المبتدعة، فضعفت علاقته بالمانوية، وخاصة لأن فكرة وجود إلهين تتعارض تعارضًا تامًا وصارخًا مع أول وصايا الكتاب المقدس والتي تقول : (اسمع يا إسرائيل : الرب إلهنا – واحد). "مرقص ١٢: ٢٨– ٢٩".

٣ – رأى أوغسطين أن وجود الله أمر بديهي تمامًا، ولكن ظلت مشكلة الشر تؤرقه حتى بعد تركه المانوية وإيمانه بالديانة المسيحية. فكان السؤال الجوهري لديه: كيف يمكننا تفسير وجود الشر في العالم الذي خلقه الله ؟ فلو فرضنا أن الله لم يخلق العالم، أو أنه لا يوجد إله يحكم العالم على الإطلاق، فمن أين يأتي الخير إذن ؟ وأيضًا إذا كان الله موجودًا في العالم، فمن أين يأتي الشر ؟

حاول أوغسطين بكل جهده أن يجيب عن هذه الأسئلة، واتجهت إجابته للتراث اليوناني القديم لتأثره الشديد بالمذهب الغنوصي (Gnosticism)، فكيف إذن تفسر وجود

(1) - John Mark Mattox, Saint Augustine And The Theory Of Just War, Continuum, U.K, 2009, P. 99.

الشر الذي كان يقتل روحه من الداخل، ويقتل كل ما هو طيب ونبيل فيه ؟ فنجده يعود هنا إلى (الأفلاطونية المحدثة) وإلى (أفلوطين) ويتساءل : لم لا نقول إن المادة (Matter) هي مصدر وأصل الشر الموجود في هذا العالم، كما أن الجسد هو مصدر الشهوات ومنبع الخطيئة بالنسبة إلى الإنسان؟ وعلى الرغم من أن الله خلق المادة، فيمكن القول هنا إن الله خلق الوجود، الذي هو خير بالضرورة، أما اللاوجود فهو يعد شرًا بالضرورة، فالمادة هي (لا وجود) بصورة ما، واللاوجود يعني أن المادة ليست موجودة وجودًا فعليًا في العالم.

وإذا كان اللاوجود شرًا، فبالتالي فإن المادة هي مصدر الشر في العالم، وهي بذلك تعني اللاوجود الأفلاطوني. ولكن في الحقيقة فإن هذه المادة ليست اللاوجود، ولكنها هي (اللاخير Non Good)، بمعنى أنها شر بصورة ما طالما هي لا خير أو سلب، أي انعدام للخير. لذلك يقول أفلوطين بأن المادة – أي الوجود – هي المصدر الأساسي والمبدأ الحقيقي للشر. وهذا يتفق مع مذهب أفلوطين في مجمله، الله عنده ليس خالقًا للعالم بالمعنى الموجود في الكتاب المقدس أو في المسيحية، ولذلك فهو ليس مسئولًا عن وجود المادة، ولكن الله خالق لا يمكن أن يكون غير مسئول عن طبيعة المادة سواء كانت خيرة أم شريرة أيضًا.[١]

يقول الوحى الإلهى في بشارة متى الرسول : (هكذا كل شجرة جيدة تصنع ثمارًا جيدة، وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارًا ردية). "متى ٧: ١٧". وأيضًا : (اجعلوا الشجرة جيدة وثمرها جيدًا، أو اجعلوا الشجرة ردية وثمرها رديًا، لأن من الثمر تعرف الشجرة). "متى ١٢: ٣٣".

ونلاحظ أنه على أرض الله يسمح بنمو وحياة الصالحين والأشرار الصالحين معًا، ويمكن أن نقول بالطريقة نفسها إن الشجرة الردية لا تستطيع أن تنتج أعمالًا صالحة طيبة، وأما بالنسبة إلى طبيعة الإنسان، والتي هي صالحة وخيرة، فيمكنها إما أن تنتج إرادة خيرة أو إرادة شريرة. وكما أن الثمار الشريرة لا يمكنها أن تنمو في شجرة صالحة، فلا يمكن أيضًا أن تنمو الثمار الجيدة في شجرة ردية شريرة.[٢]

يذهب القديس أوغسطين إلى أن الخطيئة هي عمل وقول وميل وانحراف للشريعة الأبدية والتي هي العقل والإرادة الإلهية التي تدعو الجميع إلى احترام النظام والترتيب الطبيعي للأشياء في الكون وتنهينا عن تجاوزه. وبذلك تكون الخطيئة هي شر في داخل الإنسان، وفوضى وفساد حقيقي، فيميل الإنسان عن الله الخالق الأسمى، ويتجه إلى الكائنات الدنيوية المادية. ويذهب إلى أن أعمال الله كلها خير وحسنة تمامًا، ولكن فيها الكبير

---

(١) - إمام عبد الفتاح إمام ، مدخل إلى الميتافيزيقا، ص ص١٢٨/١٢٩.

(2) - Marcus Dods D.D. , The Works Of Aurelius Augustine. P. 185.

والصغير، والروحي والزمني، ولكن كلها صالحة، وذلك لأن صانعها وخالقها صالح وكامل تمامًا.[١]

تفسير أوغسطينوس لوجود الشر فى العالم :

انعكس فى تناوله للمدينة الأرضية ، فيذهب إلى أن الشر دخل إلى العالم من خلال خطيئة أبينا آدم، وكما يوجد في الإنسان نزعتان: نزعة حب الذات إلى حد الاستهانة بالله، ونزعة حب الله إلى حد الاستهانة بالذات، كذلك نشأت في المجتمع البشري مدينتان : المدينة الأرضية أو مدينة الشيطان، والمدينة السماوية أو مدينة الله، وتعمل المدينة الأرضية على نشر ونصرة الظلم، وتجاهد المدينة السماوية في سبيل العدالة ونصرة الحق. واختلطت المدينتان حتى ظهور النبي ابراهيم، ثم تميزت المدينة السماوية فأصبحت في بني إسرائيل، كما تميزت المدينة الأرضية في كافة الحضارات والأمم المختلفة، والتي بلغت قمتها وذروتها في الحضارة أو الإمبراطورية الرومانية.

ونلاحظ أنه مع انفصال وتباين المدينتين كانتا يتقدمان معًا، ويمهدان لظهور السيد المسيح، فمهد له بنو إسرائيل روحيًا، كما مهدت له الحضارات القديمة سياسيآ، وذلك وفقًا لتدبير العناية الإلهية، وانتهى التمايز بين المدينتين بظهور السيد المسيح. فكان يجب هنا أن تتم الوحدة بين الجانب الروحي، والذي تمثل في الكنيسة، والجانب السياسي، والذي يتمثل في الدولة، ولأن الدولة تسعى جاهدة للحصول على الخيرات المادية الدنيوية والفوز بها، بينما نجد أن الكنيسة تجعل الخيرات الدنيوية مجرد وسيلة لغاية روحية أسمى لذلك، يجب على الدولة الخضوع للكنيسة.[٢]

والمشكلة الأساسية نجدها في التالي :

١- وجود إله كلي العلم Omniscient.

٢- كلي القدرة Omnipotent.

٣- كلي الرحمة Omnitenovolent.

٤- وجود الشر والمعاناة في العالم بالرغم من كل ما سبق. وذلك لأن وجود الشر واستفحاله بهذا الشكل في العالم ينفي علم الله، لأن علمه يقتضي منع الشر من

---

(١) - القديس أوغسطين، خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، التراث الروحي، نقلها إلى العربية : الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق، ط٧ ، دار المشرق ، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م، ص١٤١.

(٢) – حربى عباس عطيتو ، سلسلة دراسات في الفلسفة القديمة والوسطى (٥) اتجاهات التفكير الفلسفى فى العصور الوسطى الغربية، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، ٢٠١٩م ، ص ص٢٢٧/٢٢٨.

الوجود، كما يتنافى مع قدرة الله، لأن قدرته تقتضي بأن يمنع هذا الشر من الوجود. بالإضافة إلى أنه يتنافي مع أنه رحيم، لأن رحمته تقتضي منعه من الوجود. وبالتالي فإن وجود الشر ينفي هذا الإله الذي لا يمكن وأن يفتقد الصفات الثلاث السابقة معًا.(١)

ذهب المهاجمون للمسيحية إلى أن استيلاء القوط على روما في عام ٤١٠م كان بسبب تخلى الرومان عن الديانة الوثنية القديمة، واعتناقهم للمسيحية الدين الجديد، ذلك لأن التعاليم المسيحية السامية توصي بعدم مقاومة الشر بالشر، بل مقاومة الشر من خلال فعل الخير، وبمسالمة جميع الناس، ومحبة الأعداء. والرد على هذا الاتهام الباطل أن الناس دومًا في كل العصور – وحتى الملوك ذاتهم – يؤمنون بأن العفو عند المقدرة فضيلة مهمة من شيم الكرام والنبلاء، وتهدف المسيحية من هذه الوصايا السامية إلى عدم زيادة الشر والصراعات والعداء والحروب بين البشر وبعضهم البعض، ولكن هذا التسامح لا يمنع من الحزم ، والثواب والعقاب، ووضع الحدود اللازمة في كافة العلاقات مثل: تأديب الأب لأولاده.

يقول أوغسطين موجهًا حديثه للإنسان :

(لقد خلقك الله صالحًا إلى حد ما، ثم وضع ما هو أدنى وأحط، ووضع دونك شيئًا تعلوه لتصير أرفع من هذا وأحط من ذاك. إياك أن تتخلى عن الأسمى وتتجه إلى الأدنى). فلا تسيء التصرف بأنواع الخير التي تمتلكها، ولكن استعملها في الحياة استعمالاً حسنًا حتى تتمتع تمامًا بالخير الأسمى. فالبخل مثلًا ليس عيبًا في الذهب ذاته، ولكنه عيب في من يحب الذهب حبًا رديئًا، فيتخلى عن العدل للحصول على الذهب. كما أن الدعارة أيضًا ليست عيبًا في الأجسام الجميلة الأنيقة، ولكنها عيب في النفس التى تهوى إشباع ملذاتها الجسدية من خلال الإثم، فتنبذ العفة والاحتشام. وأيضًا الإعجاب بالنفس ليس عيبًا في مديح الناس، ولكنه عيب في النفس التى تهوى تقريظ الناس لها، وترفض شهادة ضميرها، فالكبرياء ليس عيب في ذوي السلطة والسلطان، ولكنه عيبًا في النفس الشريرة التي ترغب في فرض سلطتها متجاهلة وجود سلطة شرعية أعلى منها. والخلاصة إن كل من يحب خيرًا ما بطريقة أثيمة خاطئة يأثم هو ذاته في الخيرالذي يحصل عليه، لحرمانه ذاته خيرًا أفضل. الله خلقك صالحًا، ولكن أنت خلقت فساد نفسك، وفي قلبك رب شرير، فتطيع الإثم والرب الذي صنعته لنفسك، وذلك لأنك ترفض الخضوع لله الذي خلقك.(٢)

---

(١) - سامى العامرى ، مرجع سابق ، ص٢٣.
(٢) - القديس أوغسطين، خواطر فيلسوف في الحياة الروحية ، ص١٤٢.

نتائج الدراسة :

ومن أهم النتائج التى خلصت إليها جراء هذه الدراسة ما يلى :

أولاُ: الشر هو نقض الخير، وهو فساد إحدى خصائص الموجود، ويتفاوت بمقدار هذا الفساد. فالشر هنا هو خلل في خصائص الموجودات، أو في ترتيبها، أو في بعضها. كما يمكن القول إن الشر نقص في خير كان يجب أن يمتلكه الكائن أو الموجود. الشر إذن هنا بمعنى العدم المحض، أو الغياب، أو عدم الوجود. فالشر ليس كائنًا، موجودًا قائمًا، أو وجودًا في حد ذاته، كما يعتبره المانويون. فلا يمكن أن نفهم الشر، يجب ألا يكون الشر موجودًا. بالإضافة إلى أنه ليس هناك صفات للشر، وذلك بسبب أن ما هو عدم وغير موجود لا يمكن أن يكون له صفات.. ويخلص أغسطينوس إلى أن الشر موجود، ولكن ليس ككيان إيجابي قائم بذاته ، بل إنه انتفاء للخير. ويعزي هذا النفي إلى إرادة الإنسان الحرة. وهذا التفسير للشر اللاكياني يعود إلى أفلاطون أولاً ، ثم الرواقيين فى قولهم إن الخير هو في الانسجام مع القانون الطبيعي.

ثانياً: سبب وجود الشر فى العالم بالرغم من أن الله خير وكامل، ولا يصدر عنه إلا كل ما هو كامل وخير: في الثيولوجيا وفلسفة الدين نجد أن محاولة حل معضلة وجود الشر والآلام والمعاناة في العالم من خلال فكرة وجود إله ذي قدرة ومعرفة وخير مطلق فى الوقت نفسه وتَعّد مشكلة الشر من المشكلات القديمة التى ناقشتها الفلسفة والأديان كافة فى مختلف العصور. ويمكن القول إن محاولته لحل التناقض بين وجود الشر ووجود الله هى أول محاولة موسعة وجدية ومنظمة فى مجال الفكر الدينى. إن كل ما هو موجود، فى نظر أوغسطين، هو خير ، لأن كل ما خلق الله هو حسن ، كما جاء فى الكتاب المقدس. فإذا كانت جميع الأشياء التى خلقها الله خيرة ، فإن ما نعده شرا ليس جوهراً، لأنه لو كان جوهراً لكان خيِّراً، فهو في حقيقته عدم الخير، ومن ثمة هو لا وجود.

وهذا يعنى أن الوجود والخير متساوقان. وبناء على ذلك ، لا يمكن أن نقول إن الله هو سبب شىء غير موجود أو سبب غياب الخير ، إن أوغسطين بهذا الأسلوب ، يحاول أن يبرئ الله من تهمة أن يكون موجد الشر في العالم ، فالخيرية ، إذن ، صفة جوهرية لله.

ثالثاً: كيف يخلق الله الشر أو (عدم الكمال) على الرغم من كماله ، وخيريته ، وعلمه ، وقدرته ، ومسئوليته التامة عن كل ما خلق؟

إذا كانت نظام الكون يعكس حكمة الله ورحمته، فما الذي يفسر وجود الشر على نطاق واسع جدا ، سواء كانت شروراً طبيعية ام خلقية؟ ولماذا لا يوقف الله الشر بما أنه كلي القدرة والصلاح ؟ ومن هنا نشأت مشكلة الشر. ومن بين الحلول العديدة المقترحة لحلها ، هناك من حاول إيجاد مصالحة بين قدرة الله وصلاحه وبين وجود الشر بجميع أنواعه.

يرى القديس أوغسطين فى ذلك أنَّ الشر هو نتاج إساءة استخدام المخلوقات الحيَّة للإرادة الحرَّة التي منحها إيَّاها الله، وأنَّ المعاناة ضروريَّة لتطوُّر الناس الروحاني، وأنَّ البشر أقلُّ إدراكاً كي يفهموا أسباب الإله للسَّماح بوجود الشر.

ويؤكد أوغسطين أن الشر الأخلاقى الموجود فى العالم ينتج أساسا من إرادة الإنسان الحرة؛ غير أن هذه الإرادة لم تخلق شريرة ولا حتى غير مكترثة بالخير أو الشر ، ولكنها خلقت خيرة. وتفسد هذه الإرادة عندما تتخلى عن الخير الأعظم، الذى هو الله، وتلتفت إلى خى أدنى، فهنا لا يوجد شر خارج الخير. فهو ليس جوهرا وقائما بذاته، بل هو عرض فى الموجود الحر. وكما أن المرض هو غياب الصحة عن البدن، فكذلك الخطيئة غياب الصحة عن الإرادة. واذا كان سبب الشرور الأخلاقية هو انحراف الإرادة الإنسانية، فإن الشرور الطبيعية، كالأوبئة والمجاعات و البراكين، هى عقاب على انحراف هذه الإرادة، وهو يعكس العدالة الإلهية. وهذا هو معنى قول أوغسطين إن كل شر إما خطيئة أو عقاب على هذه الخطيئة.

رابعاً: هل يوجد ثمة تعارض بين وجود الشر فى العالم ، وبين العناية الإلهية؟

لعل من أهم الأسئلة التي تجيب عنها كتابات أوغسطين المختلفة، وخاصة مدينة الله والاعترافات وفي الكذب، وفي الحياة السعيدة، وغيرها من الأعمال، المقصود بالخير والشر، ودوافع ارتكاب الإنسان الشر، وفعل الخير، وطبيعة هذه الدوافع ومصادرها المختلفة، وأخيرًا علاقاتها بالخير والشر.

وهو ما يقودنا إلى البحث عن إجابات عن هذه التساؤلات على النحو التالي:

مفهوم الخير والشر: كل ما يسبب السعادة ويسهل الحياة علي الصعيد الجسدي أو السيكولوجي، وعلى العكس من ذلك، كل ما يؤدي إلى المرض أو الألم بجميع أشكاله، وبالأخص إلى الموت، هو شر، وعندما رغب أوغسطين في تحديد مفهوم الخير والشر، ناقش ذلك فى كتابه (مدينة الله).

خامساً: العلاقة بين مفهوم الشر وكل من حرية الإرادة البشرية ، والقانون الطبيعى:

مسألة الجمع بين حرية الارادة وعلم الله الكلي. من بين الأجوبة المقترحة حيث هناك من يرى أن حرية الارادة لا يمكن ان توجد دون احتمالية وجود الشر. وإن الألم ضروري من أجل الارتقاء الروحاني. وهناك آخرون يرون أن الله ليس كلي القدرة والخير.

يرى القديس أوغسطين أن سيرنا بمقتضى القانون الإلهي (The Divine Law) هو الذي يفصل بين الخير والشر، وأيضًا يفصل بين الإنسان الخير الأخلاقي والإنسان غير الأخلاقي.

ذلك لأن القانون الإلهي بأوامره ونواهيه يعتبر بمثابة مقياس أو ترمومتر للسلوك البشري، فبقدر ما نقترب أو نبتعد عن تنفيذ الأوامر الإلهية تتحدد الخيرية الأخلاقية للفعل.

ونستخلص من ذلك أن الخير عند أوغسطين هو السير بمقتضى ما يتطلبه منا القانون الإلهي والطبيعي. بينما الشر فإنه يبرز في مخالفتنا للقانون الطبيعي.

ونستخلص من العرض السابق لآراء أوغسطين حول مشكلة الشر فى أطواره الفكرية المختلفة ما يلي:

إن مشكلة الشر كان لها مؤشر هام على توجهاته الفكرية فبالنسبة للمانوية دخل فيها، ولكنه خرج منها أيضاً، وذلك بسبب قصورها الذى لاحظه فى بنيانها، وخاصة بعد إيمانه بالمسيحية فى قول المانوية بمبدأ الجوهرية السرمدية، للشر والتى تعادل الأقنومية فى إيمانه المسيحى.

أما بالنسبة إلى أفلاطون : فقد من قوله بعدم وجود الشر ، وذلك لعجزه وقصوره عن حل المشكلة ، ذلك لأن عدم وجود الشر لا تعنى عدم وجود آثاره.

كما رفض أيضاً تبنى الموقف الأرسطى، لأنه يسند الشر إلى الله وإن كان بالعَرَض، لأن طبيعة الله كلها خير وصلاح، ولا يصدر عن الله إلا ما هو من طبيعته ، وبالتالى فإن الشر لا يمكن إسناده إلى الله تبارك اسمه.

ورفض أيضا الموقف الأفلوطينى : وذلك لأن الهيولى وإن كأنه فى المرتبة السفلى أو الدنيا من الفيض ، ولكنها على الرغم من ذلك ليست عدماً محضاً بدليل فيضها، لأن العدم لا يمكن أن يفيض.

قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية

أولاً : المصادر العربية :

١. القديس أوغسطين ، مدينة الله، المجلد الثالث، الكتب من (١٨-٢٢)، ط٢ ، نقله إلى العربية : الخوري أسقف يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.

٢. اعترافات القديس أغسطينوس ، نقله إل العربية : الخوري يوحنا الحلو ، ط٤ ، التراث الروحي، المكتبة الشرقية، دار المشرق، بيروت ، لبنان ،١٩٩١م.

٣. القديس أوغسطين، خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، التراث الروحي، نقلها إلى العربية : الخوري يوحنا الحلو، ط٧ ، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٤.

ثانياً : المصادر الأجنبية :

1. Augustine's Confessions : Critical Essays , Edited By : William E. Mann , Rowman And Littlefield Publishersinc , U.S.A. , 2006.
2. Saint Augustine Of Hippo , St. Augustine's Writings Against The Manichaeans And The Donatists , Creat Space Press , U.S.A. , 2012.
3. Saint Augustine (Of Hippo) , The Augustine Catechism : The Enchiridion Of Faith , Hope, And Love , New City Press , U.S.A. 1996.
4. Saint Augustine , On Instructing The Unlearned , Concerning Faith Of Things Not Seen , Or Concerning Faith, Hope , And Charity, Edited By : H. De Romestin, M.A. , Parker And Co. U.K. , London , 1885.
5. Saint Augustine, The City Of God , Books Vlll- Xvl , The Fathers Of The Church, Translated By : Gerald G. Walsh, The Catholic University Of America Press , U.S.A , 2008.
6. The Works Of Aurelius Augustine , Bishop Of Hippo , A New Translation , Edited By. The Rev. Marcus Dods, M.A, Vol (I) , The City Of God , T And T Clark, Edinburgh, 1878.
7. Saint Augustine , The Fathers Of The Church , The Happy Life , Translated By : Ludwig Co. Schopp , Denis J. Kavanaagh, Cima Publishing , New York , U.S.A, 2008.

ثالثاً : المراجع العربية ، والمترجمة إليها :

١) الشر القيمة والخطاب، أعمال ندوة الشر القيمة والخطاب ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القيروان، ٢٠١٣م.

٢) المجلة العربية للعلوم الإنسانية، المجلد ١٥، العدد ٥٩، ١٩٩٧م.

٣) أحمد محمود صبحي ، في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية للنشر، الإسكندرية، ١٩٧٥.

٤) إمام عبد الفتاح إمام ، مدخل إلى الميتافيزيقا، مع ترجمته الكتب الثمانية الأولى من ميتافيزيقا أرسطو، ط٢ ، مكتبة النهضة، القاهرة.

٥) إيتيين جيليسون ، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة وتعليق : إمام عبد الفتاح إمام، ط٣ ، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦م.

٦) حربى عباس عطيتو ، سلسلة دراسات فى الفلسفة القديمة والوسطى (٥) اتجاهات التفكير الفلسفى فى العصور الوسطى الغربية، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، ٢٠١٩م.

٧) سامي عامري ، مشكلة الشر ووجود الله الرد على شبهات الملاحدة ، ط٢، تكوين للدراسات والأبحاث، المملكة العربية السعودية ، ٢٠١٦م.

٨) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م.

٩) عادل ضاهر ، الفلسفة والمسألة الدينية، دار نسلن، بيروت ، لبنان، ٢٠٠٨م.

١٠) عبد الرحمن بدوي ، فلسفة العصور الوسطي، ط٣ ، وكالة المطبوعات ، الكويت، دار القلم، بيروت ، لبنان، ١٩٧٩م.

١١) على زيعور ، أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية، ط١، دار إقرأ ، بيروت، لبنان ، ١٩٨٣م.

١٢) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٤ م.

رابعاً : المراجع الأجنبية :

1. A.M. Fairbairn, D.D.; The City Of God : A Series Of Discussions In Religion , Hodder And Stoughton , U.K. , London.
2. Charles T.Mathewes , Evil And The Augustinian Tradition , Cambridge University Press , U.K. , 2003.
3. Gillian R. Evans, Augustine On Evil , Cambridge University Press , U.K., 1990.
4. John H. Leith , From Generation To Generation : The Renewal Of The Church According To Its Own Theology And Practice , Westminster , John Knox Press , U.S.A. , 1990.
5. John Mark Mattox , Saint Augustine And The Theory Of Just War , Continuum , U.K , 2009.
6. Marcus Dods D.D. , The Works Of Aurelius Augustine Bishop Of Hippo , On Christian Doctrine : The Enchiridion: On Catechising And On Faith And The Creed , Second Edition , Vol (IX) , Edited By : J. F. Shaw , T And T clark , Edinburg , 1877.
7. Nico Vorster , Created In The Image Of God : Understanding God's Relationship With Humanity , Pick Wick Publications , Oregon , U.S.A. , 2011.
8. Paulist Fathers , Catholic World , Volumes 175-176 , The University Of California Press , U.S.A. , 1952.
9. Robert Dodaro And George Lawless , Augustine And His Critics , Routledge , U.S.A , 2005.
10. S. Morris Engle, Angelika Soldan , The Study Of Philosophy , 6th Edition , Rowman, And Little field , U.S.A , 2007.
11. Willaim Chase Greene , Moira Fate, Good And Evil In Greek Thought , Cambridge , Harvard University Press , U.K. 1944.